أمـيمـة واد زازي

شطرنج الحياة

كش ملك

رواية

أميمة واد زازي

شطرنج الحياة كش ملك

رواية

كمحارة منغمقة على نفسها في ساحل المحيط الهادي، تأبى أن تكشف عن حبة اللآلئ المنغرسة في أحشائها. كذلك هو القدر، الذي يُخفي القليل أو ربما الكثير من الأسرار.

تتجادل بين خباياه ثلة من الأزمنة، وجوه الماضي، وجدال الحاضر، وحيرة المستقبل، تتصارع لكشف حقيقةٍ لم يأن لبعدها الزمكاني بعد أن يعلن حضوره. الحياة لغز مثير وخطير، يفاجئنا بطريقة أو بأخرى، بمفاجآت لم تكن في الحسبان، أو ربما لم تقتحم خلدنا قط. فالحياة بطبعها مغيرة لأديمها، في كل المرات تأتينا فجأة وعلى عكس المتوقع بأحداث تخالف مسارنا، ولا تشبه أحلامنا، بأشياء لم نكن لترغب فيها، لكنها رغبت بنا بشدة، لتبقى الحياة ثلة من اللحظات، بين كل لحظة ولحظة نتعلم شيئًا جديدا...

أمـيمـة واد زازي

شطرنج الحياة

كش ملك

Omaima Omaima

شطـــرنج الحياة (كش ملك)

شــطرنج الـحيـــــاة

(كـــش مـــلك)

اسم الكتاب: شطرنج الحياة (كش ملك)

اسم الكاتبة: أميمة واد زازي

نوع العمل: رواية

الرقم الدولي: EBIN: 230617 - 241 - 1 - 16

الناشر: دار بسمة للنشر الالكتروني

للتواصل مع المؤلفة: ouadzaziomaima@gmail.com

شــطرنج الـحيـــــاة

(كـــش مـــلك)

———— رواية ————

أميمة واد زازي:

إليكِ أنتِ أينما كنتِ...

إلى من قالت لي ذات يوم، سأراك كاتبة وأحمل بين يدي أول عمل أدبي لك...

إلى داعمتي وقدوتي الناذرة...

حقوق هذا الكتاب محفوظة، لا يسمح بالطبع أو النسخ أو التصرف فيه، دون إذن الناشر أو الكاتب.

كمحارة منغلقة على نفسها في ساحل المحيط الهادي، تأبى أن تكشف عن حبة اللآلئ المنغرسة بين أحشائها، كذلك هو القدر الذي يخفي القليل، أو ربما الكثير من الأسرار، تتجادل بين خباياه ثلة من الأزمنة، وجوه الماضي، وجدال الحاضر، وحيرة المستقبل تتصارع لكشف حقيقة، لم يأن لبعدها الزمكاني بعد أن يعلن حضوره. الحياة لغز مثير وخطير، يفاجئنا بطريقة أو بأخرى، بمفاجآت لم تكن في الحسبان، أو ربما لم تقتحم خلدنا قط، فالحياة بطبعها مغيرة لأديمها، في كل المرات تأتينا فجأة، وعلى عكس المتوقع، بأحداث تخالف مسارنا ولا تشبه أحلامنا، بأشياء لم نكن لنرغب فيها ولكنها رغبت بنا بشدة، لتبقى الحياة ثلة من اللحظات، بين كل لحظة ولحظة نتعلم شيئا جديدا، ماذا لو أقحمتك هذه الحياة، في دوامة لن تستطيع للخروج منها سبيلا؟ لتجد نفسك داخل مستطيل مكون من مربعات، تزاوج بين الأبيض والأسود، وفي المربعين المتناقضين هناك جنود يقفون بشموخ لحماية ملكهم. الآن يا صديقي، لا شك أنك قد علمت أننا داخل لعبة الشطرنج، لكن ليس كأي شطرنج قد لعبته من قبل، هذه المرة هناك قواعد مختلفة للعبة، فهي أصعب من الصعب نفسه، وأسوأ من كل شيء سيء على هذه الأرض، فخسارتك تعني ضريبة حياتك، وعطر الموت سيظل يفوح من حولك، يترقبك كالصقر منتظرا أن يباغتك في اللحظة المناسبة؛ ليرصدك فريسة له، فأنت أمام خصم خطير أقسم أن لا ينهي اللعبة إلا بانتصاره، وعليك أن تتذكر أن للعبة سبع قواعد، ولك أنت سبع نقلات فقط، ومربعك هو الأبيض تماما كروحك الطاهرة، ومربع خصمك أسود كغموضه كخباياه، وأما جنودك فهم كنز لا يقدر بثمن، وخسارتك لهم ستذيقك مرارة الفقدان بأقسى أشكاله، لكنك مضطر لخسارة جنودك، كي تحمي ملكك، وملكك هو الحياة، أي حياتك أنت، والآن بعد أن عرفتك على جزء من قواعد اللعبة، هل أنت مستعد لنخوض هذه الأحداث ولنقتحم هذه اللعبة؟ نتتبع أحداثها ونكون سويا جمهورها، فهناك لاعبين قد احتجزا في داخلها، وواحد منهما فقط، من سيقول في النهاية **(كش ملك)**.

النقلة الأولى:

بداية اللعبة

القاعدة الأولى: " أحيانا دقائق من التسلية، قد تكلفك عمرا من الدموع"

تتوقف سيارة سوداء فاخرة أمام المطار، وتنزل منها هي في حلة أنيقة تلفت الأنظار، تجرّ بيدها حقيبة السفر، ترتسم على محياها البريء ابتسامة مفعمة بالحياة، تروق المارين من حولها، جلست في قاعة انتظار الإعلان عن موعد إقلاع الطائرة، وهي تقلب صفحات رواية كانت تحملها بين يديها الناعمتين، كطفل في عمر السنتين، تشع عيناها اللتان اقتبستا من زرقة السماء حلة لهما، أملا وحماسا، وتحلق بأجنحة طموحها الذي لا حد له باندفاع وإصرار، تداعب الرياح خصلات شعرها المتطايرة في الهواء، فتحاول أن ترتب بأناملها هذه الخصلات المشاغبة الراقصة على سيمفونية الريح، كان شعرها يشبه صفرة سنابل شامخة في ربيع أنيق، تربص على عرش الفصول ملكا للجمال والطبيعة. تتمعن مفردات الرواية خاشعة في أحداثها، التي بدت من اهتمامها المفرط بها، مشوقة ومثيرة.

دب صوت أحد المسؤولين إلى أذنيها، معلنا عن موعد الرحلة:

ـ المرجو من المسافرين الكرام، الاستعداد لرحلة فرنسا (باريس).

لبت النداء، وسارت سريعة الخطوات نحو الطائرة، لتتخذ مكانها بين المسافرين، والفرح لا يفارق ملامح وجهها اللطيف، وبريق الأمل، وكثير من الأحلام السلسة والبريئة، التي تطل من شرفة عينيها المتحمستين لهدف ينبض أملا، استقرت في مكانها على متن الطائرة قرب رجل يخفي وجهه بقبعة سوداء، ويغط في سبات عميق كدببة القطب الشمالي، غير مبال بشيء، كانت الطائرة قد أقلعت في تلك الأثناء، متجهة إلى باريس "مدينة الأحلام"، وفي كل خطوة تقترب فيها الطائرة نحو وجهتها، كانت تزداد حماسا وشغفا ولهفة، فما الذي كان ينتظرها هناك، وأي أحلام تركض نحوها هكذا؟ شردت لوهلة تسبح في عالمها المجهول، ثم أخرجت من حقيبتها الصغيرة روايتها المفضلة، وانهمكت تتابع قراءتها بمتعة وتـشويق،

فصرخت قائلة بلهجة المتحمس:

ـ (جان) ملك الروايات المرعبة.

لفت تصرفها المفاجئ انتباه المسافرين، وشرعوا يحدقون في وجهها باندهاش، فأيقظ صوتها الرجل النائم قربها، لكنها لم تأبه لأحد منهم.

فأردفت قائلة بلهفة، وهي تنظر للرجل الجالس قربها، وتشير إلى صفحة من صفحات الرواية:

ـ هذا الحدث وهذا الفصل مثير للاهتمام، أنا على يقين أن "الكاتب جان" سيفوز بجائزة أفضل الكتّاب، فلا أحد يستطيع أن يضاهيه.

ضحك الرجل ساخرا، ثم أزاح قبعته السوداء، ورمقها بنظرة مستفزة، خارجا عن صمته قائلا:

ـ لا أدري ما المميز في هذه الرواية حتى أفسدت نومي؟ أنا أدرك جيدا من يكون "جان"، إنه رجل سخيف مثل رواياته السخيفة.

عبست فصاحت بنبرة الغاضب:

ـ كيف تجرؤ على السخرية من " الكاتب جان"؟ ألا تعلم أنه ملك الروايات المرعبة؟.

ابتسم مستهزئا:

ـ مرعبة؟...

ثم تجاهلها وغطى وجهه بقبعته السوداء، فعاد لنومه مجددا، أثار تصرفه هذا غضبها وجنونها؛ فتضجرت قائلة:

ـ يا لك من رجل مغرور لقد عكرت صفو مزاجي أيها الأبله.

لم تكتفي بهذا القدر من التمرد والتطفل، بل تجرأت على نزع قبعته، ووضعتها على رأسها ساخرة، وهي تردد قائلة:

ـ إنها تناسبني وسآخذها منك.

ظلّ الرجل ساكنا دون حركة في مكانه، ثم جمع قبضة يديه وصوب بصره نحوها، وهو يحترق غضبا، فقال:

ـ كيف تجرئين؟؟...

لم تبالي بغضبه، فاستمرت تغيظه بحركاتها، وتجرأت على مد يديها للعبة الشطرنج الخاصة به، وفتحت اللعبة فأخذت ترتب الجنود واحدا تلو الآخر، دون إذن منه، حدَّق الرجل بوجهها ساخطا بعينين محمرتين كالجحيم، يحاول السيطرة على انفعاله، ثم صرخ بنبرة الغاضب:

ـ دعي ما هو ملكي، فأنا أكره المتطفلين.

وأمسك يدها بقوة ألمتها؛ ليمنعها من لمس لعبته لكنها لم تهتم به، فانفجرت في وجهه ضاحكة في لامبالاة تستفزه قائلة:

ـ هل تعلم أنّ هذه القبعة السوداء لا تليق بأحمق مثلك؟ لذا سأتركها معي، فأنا أليق بها وتليق بي، أو لدي اقتراح آخر، ماذا لو أخذت لعبتك هذه أيضا؟.

وشرعت تجمع جنود اللعبة، لتغلقها لكنه منعها من ذلك ممسكا معصمها بقوة، وكاد يسحقها بنظراته المليئة بالحقد والغضب، لولا وجود المسافرين الذي شفع لها، وحال بينها وبين العقاب، أدركت أنها قد بالغت بتصرفها، وتجاوزت بحماقتها الحد، فشاءت أن تعتذر منه أخيرا، وردت له لعبة الشطرنج، فأمسك يدها مبتسما، ثم قال بلهجة مستفزة:

ـ لقد بدأت اللعبة وعليها الآن أن تنتهي، أم أنك لا تعرفين كيف يلعب الشطرنج؟

أثارت عبارته هذه الحماسة في داخلها، فهي شخصية متمردة طائشة، تعشق التحدي لأبعد الحدود، ودون أي تردد عبرت بثقة وحماسة عن رغبتها، في خوض اللعبة قائلة:

ـ أنا موافقة، لنبدأ الآن، وبالتأكيد سأفوز.

ابتسم لها ابتسامة تضمر عن ثقة كبيرة في ربحه، فحرك أول نقلة له داخل مربعات الشطرنج، التي تزاوج بين الأبيض والأسود، فأي لون يا ترى سيعلن انتصاره؟ كانا يتبادلان النقلات سويا بتركيز ونشاط، وبيد أن كلاهما يتقن اللعبة باحتراف، مما زاد رجــل القبعة شغفا بالفوز، وما هي إلا لحظات قليلة حتى أعلن انتصاره، قائلا بفخر:

ـ لقد فعلتها.

اندهشت من ذكائه، وتساءلت:

ـ ماذا؟ كيف فعلتها في هذا الوقت الوجيز؟.

ابتسم، ثم أجاب:

ـ لقد ركزت على حماية الجندي ونسيت ملكك دون حراسة وهكذا هزمتك.

وصمت ثم تنحنح قائلا:

أحيانا سعينا لحماية شيء قد يكلفنا خسارة أنفسنا أولا، تذكري كلامي جيدا، فهذا من قواعد اللعبة.

ووضع القبعة السوداء على رأسه، ثم استأنف قائلا:

ـ والآن سأقول لك كش ملك، بداية اللعبة.

تساءلت مندهشة:

ـ لما قلت بداية اللعبة وقد انتهت لتوها؟

ابتسم لها ابتسامة شيطانية لا أحد يدرك خباياها، وأي لعبة هذه يريد أن يلعبها معها؟ ما الذي قصده بكش ملك بداية اللعبة؟، كيف يختم نهاية لعبته بهذه العبارة؟ وما السر وراء هذه النقلات؟ ما الذي تخبئه الحياة لهذه الفتاة المتهورة، التي أقحمت نفسها في المتاهات السوداء؟

كل هذه الأسئلة ستظل تتجادل في حرم الصمت مبهمة، لكنّ جوابها كان فقط مؤجلا...

النقلة الثانية:

العد العكسي

القاعدة الثانية: "يمكن لألم الأمس أن يكون بوصلتك في يم حلمك، إن أتقنت اللعبة"

استيقظت بعد رحلتها الطويلة إلى باريس، على صوت موسيقاها المفضلة، وأطلت من شرفتها مبتهجة، تتأمل منظر الورود البيضاء، التي كانت تشبه شيئا من روحها، شردت تشاهد رقصة الجمال والحياة، على سيمفونية هذا الجو الشاعري المثير. وكانت حبات الندى تتساقط على أوراق الزهور البيضاء، التي التحفت رداء السماء كحورية خجلة، من شدة حسنها. شعرت لوهلة، وكأن الكون يتناغم منسجما في هذا المشهد الجميل، ولدت لديها هذه اللوحة الفنية التي جادت بها أنامل الطبيعة، رغبة قوية في الرقص تحت حبات المطر، كما اعتادت أن تفعل في طفولتها، بعد أن شعرت أن روح الطفلة التي غفت لردح من الزمن في كيانها، قد استيقظت لتوها، من سباتها العميق. ابتسمت تقاوم هذه الفكرة الصبيانية التي انتابتها وهي ترتشف قهوتها، فابتعدت عن الشرفة، وذهبت لترى ما أحضره لها البريد، في فترة غيابها عن المنزل، جمعت بضع رسائل كانت قد وصلتها قبل شهرين، وتركتها على الطاولة في البهو، ثم عادت إلى المطبخ، وأخذت تعد قالب الحلوى التي اعتادت كل مساء أن تأكلها، فهي تملك موهبة ناذرة في الطبخ، وكانت قد أشعلت آلة صنع القهوة ثم جلست ترتشف فنجانها، وهي تقلب صفحات روايتها لتكمل أحداثها التي بدأتها على متن الطائرة، رن هاتفها فردت على المتصل، ثم حضرت نفسها لموعدها مع أحد ما، ولا مجال أن تضيعه، لعلها كانت الثانية زوالا حين توجهت إلى المقهى لتلتقي بضيفها، حجزت طاولتها وكانت تنتظر بلهفة، حتى شعرت بعد لحظات بيد أحدهم تغلق عينيها تحجب عنها الرؤيا، أمسكت باليد تتحسسها، ثم صاحت مبتهجة:

ـ "آن" هذه أنت؟

أزاحت "آن" يدها عن عينيها، والفرح لا يفارق ملامح وجهها البريء، كانت ذات شعر مجعد أسود كليل حالك، وخذين غضتين كرضيع في أشهره الأولى، قالت مبتهجة:

ـ نعم إنها أنا يا نورسين.

لم تتمالك نفسها من فرط فرحتها، فقامت من مكانها تعانقها بقوة، وهي تردد:

ـ وأخيرا التقينا يا آن

وبادلتها الفرحة والترحيب نفسه، هي الأخرى قائلة:

ـ وأخيرا أتى اليوم المنتظر، يا نورسين.

ـ مر زمن طويل منذ أن تركتُ باريس يا آن.

ـ لا زلت أذكر ذاك اليوم العصيب.

تنهدت نورسين مكتئبة:

ـ وهل ذاك اليوم ينسى؟

ـ نحن لا ننسى لحظات الفراق، حين تمتحننا الحياة.

صمتت نورسين للحظة تتذكر أيامها الجميلة في باريس، التي كانت ذات يوم موطنها الأصلي، ثم قالت:

ـ أنا ممتنة لك يا آن، لأنك لم تتوقفي عن التواصل معي، وإخباري بكل جديد.

ـ إنه واجب الأصدقاء.

نظرت نورسين إلى ساعتها، فقالت يتملكها بعض التوتر:

ـ لقد تأخرت، عليَّ زيارة المخفر.

تساءلت آن بدهشة :

ـ لم المخفر؟

ـ حين أعود سأحكي لك كل شيء

أخذت حقيبتها في عجلة من أمرها، ثم ركضت إلى المخفر دون أن تلتفت خلفها، طلبت عند وصولها لقاء العميد "جيڤارا"، فدخلت إلى مكتبه كان رجلا حاد الملامح قوي البنية، في حضوره هيبة تثير القلق، طلب منها الجلوس قائلا:

ـ تفضلي آنستي. كيف يمكننا مساعدتك؟

أجابت:

ـ أريدك أن تعيد فتح ملف قديم.

أثار كلامها الدهشة في نفسه؛ فتساءل:

ـ ملف قديم؟

صمت، ثم أردف قائلا:

ـ أي ملف؟

ـ إنه ملف الشيف "جان مارسيل".

قال:

ـ أجل اختفاء الشيف "جان مارسيل"، القضية الأغرب في باريس

ـ نعم سيدي.

وقف، ثم أشعل سيجارته، وأتم كلامه قائلا:

ـ أتعلمين أن هذه القضية قد أصبحت جزءا من الماضي؟

وصمت ثم قال:

ـ لم يعد هناك أمل في حل خيوطها

قاطعته قائلة:

مرت تسع سنوات على اختفائه، أعلم هذا جيدا لكنكم لم تعثروا على جثته، ولا حتى على أي دليل يؤكد وفاته، والدي لا زال حيا، وقلبي يخبرني بذلك، أرجوك ساعدني وأعد فتح هذه القضية مجددا.

شعر ببعض القلق، ثم علق قائلا:

ـ أنت تعلمين أن قضية والدك من أغرب قضايا الاختفاء في باريس، وتعلمين أننا جربنا كل ما بوسعنا لأجل العثور عليه، لكن جهودنا كانت دون جدوى، لم نترك مكانا لم نبحث عنه فيه، حتى أننا أذعنا الخبر في كل أنحاء باريس، وعلقنا صوره على الجدران، ولم نترك حلا لم نجربه.

ـ أرجوك سيدي دعنا نعيد قضية البحث مجددا

وقامت من مكانها وهي تردد متيقنة:

ـ لن أستسلم حتى أجد الخيط الضائع.

رأى هذا الشغف في عينيها فقال محدثا نفسه:

ـ من أين لهذه الفتاة كل هذا الأمل؟ كيف تصر على فتح ملف أغلق لتسع سنوات؟ لا أظن أن والدها حيا.

ثم نفث دخان سيجارته، وأردف قائلا:

ـ لا أعتقد أن السيد "جان مارسيل" لا زال حيا يرزق، أنت تذكرين جيدا أنني من كنت مسؤولا عن قضية والدك، وبدلت جميع جهودي لأجل العثور عليه، لكن دون جدوى يا آنسة نورسين.

أبت أن تقتنع بما ألقاه العميد "جيڤارا" على مسمعها من كلام، كانت تنظر إليه بثقة في إحساسها، وكأن عيناها تنطقان بقوة، "لا أبي لم يمت بعد"، فجلّ ما باح به في نظرها لا يغدو أكثر من احتمالات كاذبة، لا ترضي فضولها، ولا هي توقف من حربها للعثور على أبيها المختفي، طيلة هذه السنوات العجاف.

صاحت مصرة على موقفها:

ـ لا يا حضرة العميد، لا أستطيع أن أصدق.

وأشارت إلى قلبها، ثم أردفت قائلة برجاء وتوسل:

ـ قلبي، هذا الإحساس الذي يقيم لسنوات هنا، لا يمكن أن يكذب يا سيد جيڤارا، أرجوك ابحث عن والدي، أتوسلك أعد فتح الملف مجددا.

لم تنجح هذه الكلمات المليئة بالترجي والإصرار، أن تخترق قلب جيڤارا المعروف بصرامته وقسوته، صحيح أنه لا يستسلم في أي قضية، لكنه يكره أن يراهن على قضايا ميؤوس منها، كقضية "جان مارسيل" الغامضة، حمل سترته ووضعها على كتفه، ثم نظر إلى ساعته، وبدا وكأنه يتجاهلها عمـدا،

لكنه سرعان ما نظر لعينيها اللتان تملؤهما دموع الحسرة والترجي، ثم قال بتكاسل الأسى:

ـ آمُلُ لو أنني أستطيع المساعدة، لكن ليس من عادتي خوض رهان خسارته بادية من موقعي هذا، لا أحب أن أستلم قضية ستبوء بالفشل لا محالة.

وغادر المخفر دون أن يلتفت خلفه، شعرت في تلك الأثناء أن أحلامها في اللقاء مع أبيها باتت تتبدد، لكنها استجمعت قوتها وشـجاعتها، حين أدركت أنه لا مجـال للاستسلام، وأنـها جاءت إلى باريس من أجل قضيتها، وهي مفعمة بالأمل لأجل هذا الهدف، ولن تنسى أبدا وصية والدها لها، حين نصحها أن تبقي دائما الأمل والشجاعة في قلبها، إذا أرادت أن تصل إلى أهدافها، تذكرت المطعم الذي عليها أن تعيده إلى الواجهة بعد سنوات النسيان هاته، فذهبت لاقتناء بعـض الأغراض؛ لتعيد ترميم المطعم المنسي، ساعدتها في ذلك صديقتها "آن"، التي لم تترك يدها يوما، وبعد أن أنهت تسوقها، قصدت المطعم الذي كانت بابه تكاد تسقط، وقد أكلها الصدأ، لكنها لم تكن تبصر مظهر الخراب على واجهته، بل كانت نظرتها له تنفذ إلى أعماقه، فخلف هذا الباب الموصد هي فقط من تستطيع أن ترى ذكريات جميلة، لا زالت تحيى بين أركانه. اقتربت منه ثم فتحت الباب، فهرولت إلى الداخل وهي تتأمل كل ركن فيه، بابتسامة مختلطة بالدموع، توقفت وهي تتأمل صورة كانت معلقة على الجدار نسجت العنكبوت خيوطها عليها، وأخفى الغبار ملامح صاحبها، لم تتمالك نفسها حتى اقتلعتها من مكانها، وشرعت تمسح عنها الغبار بلهفة، حتى برزت ملامحها التي حجبها عنها غبار الزمن، ضمتها إليها بحب وعاطفة قوية والدمع ينهمر على خديها، كسحابة محملة بمطر غزير، ثم التفتت لصديقتها، وقالت بنبرة يكسوها البكاء:

ـ أتذكرين يا آن هذه اللحظة، التي يبدو فيها والدي يطبخ في هذه الصورة؟ أنا من التقطتها بيدي، وهو من طلب مني ذلك، لقد كان يحب الصور التي ألتقطها، كان يقول لي دائما أنت ستكونين مصورة رائعة مستقبلا، لم يكن

يدرك أنني قد ورثت موهبة الطبخ منه، أنني لا أريد أن أصبح إلا نسخة منه، أنا أفتخر به وبنجاحاته، وبكل ما يتميز به والدي.

وضعت آن يدها على كتف نورسين تواسيها قائلة:

- لا تيأسي سيعود والدك يا نورسين، أنا أثق بحدسك.

مسحت نورسين دمعها، ثم وضعت الصورة جانبا؛ فاستعادت حماسها ولهفتها الأولى؛ لافتتاح مطعمها كان هذا هو الهدف الذي تعشقه، ولن تتوانى أبدا في السعي خلفه حتى تناله.

12 ماي عهد جديد وعودة منتظرة...

لقد كان هذا الشغف وهذا الأمل هو أجمل ما يميزها، وكم يكون المرء رائعا ومختلفا حين يتمسك بأهدافه، حين لا يكتمل كتاب قاموسه؛ لأن كلمة هزيمة لا توجد ضمنه، هكذا فقط تكون الحياة أجمل، فبعد أن نظفت نورسين رفقة صديقتها"آن" كل أرجاء المطعم، وقامتا بطلاء جدرانه، قضيتا اليوم كله في هذا العمل المتعب، ولمدة أسبوع كامل، كانتا تزوران المطعم باستمرار؛ لإتمام ترميمه حتى عاد أجمل من عهده القديم، وكانت نورسين قد وضعت في واجهته لافتة كبيرة، كتب عليها "مطعم جان مارسيل اللؤلؤ المفقود"، كانت هذه اللافتة تثير اهتمام المارين، وتجذبهم بطريقة ما إلى زيارة المطعم، كان كل ما فيه يلمع مثل لمعان الحلم الذي كبر في كيان هذه الفتاة القوية، كانت نورسين قد كلفت آن بحمل لافتة كتب عليها، " مرحبا بالجميع في مطعمنا المتواضع، وجبة اليوم مجانية أعدك لن تقاوم الطعم الذي ستتذوق"، كانت هذه فكرتهما لجذب الزوار، وقد تكللت بالنجاح، فلم تبقى طاولة واحدة خالية، اهتمت نورسين بالناس الجالسين على طاولات المطعم، وأحسنت الاستقبال، فكرت لوهلة أن تطبخ الأكلة التي كان يحبها والدها، والتي علمها إياها وكانت منسجمة مع المكونات بتركيز. وقف قربها رجل عجوز تملأ بعض التجاعيد وجهه البشوش، لا تفارق الابتسامة شفتاه اللتان تغطيهما بعض الشقوق، كأرض لم يُدركْها الغيث لسنوات من القحط، له عينين صغيرتين كعيون الصينيين، يرتدي سترة بالية مرقعة، وحذاء بسيطا، يحمل بين يديه زهرة بيضاء، اقترب هذا العجوز من نورسين، ثم قدم لها الزهرة البيضاء قائلا:

ـ أتقبل صاحبة اليدين الذهبيتين هذه الزهرة، من عجوز بسيط مثلي ؟

ابتسمت له فرحة، ثم أخذتها من يديه قائلة:

ـ زهرة بيضاء، هذا هو النوع المفضل لدي.

رد العجوز واضعا، يده اليمنى على صدره:

ـ ويروقني يا صغيرة، كيف لا تحب نقية الروح مثلك اللون الأبيض والبياض رمز الهدوء والسلام؟.

قالت ترحب به بحفاوة:

ـ سرني حضورك بيننا يا عم.

والتفتت إلى يمينها تبحث له عن طاولة فارغة، فوجدت أن واحدة قد خلت، فأمسكت يده بلطف؛ لتأخذه إليها لكنه أبى، وقد نكس رأسه خجلا، ثم قال بنبرة المنكسر وهو يتأمل الجالسين من حوله:

ـ أيقبلني هؤلاء بينهم؟

وأفلت يده من يدها منكسرا، ثم قال:

ـ لا يا صغيرة، من يقبل في هذا العالم المتعجرف بعجوز ضعيف فقير، لا يملك حتى ثمن الخبز الحافي؟.

وصمت لوهلة، ثم قال:

ـ أنا أقتات على بقايا طعامهم، فكيف يكون لي مكانا بينهم؟

انتفضت من مكانها قائلة:

ـ بلى يا عم، إن لم يقبلوك فلك مكان عندي، لا يهم المظهر ولا الثياب ولا كم من المال في جيبك، ولو كان العالم كله يركز على هذا، فإنني نظرت لروحك ولم أرى بعد ذلك شيئا آخر، أنا أبصر فقط أناقة روحك الطاهرة، وكل الأشياء الأخرى لا تعنيني.

كانت مصرة على موقفها، وحين رأى العجوز أنه لا مجال لرفض طلبها، وافق على الجلوس، فأحضرت له الطبق الذي كان يحبه والدها، ثم قدمته له بحب وعطف كبير، فجلست أمامه، وهي تملأ صحنه، قائلة:

ـ هذا الطبق هو المفضل لدى أبي، واليوم أنا أقدمه لك، لقد جرت عادتي أن أعده كل خميس وأتناوله، واليوم أيضا الخميس ولقد أتيت لتشاركني فيه. دمعت عين العجوز، فهذه أول مرة اهتم فيها أحد ما لأمره، ما أغرب أن تجد الاهتمام من الغرباء، وتفتقده من أحب الناس إليك. لا أحد كان يدرك قصته، لكن الأمر كان باديا للعيان فهو لا يملك سوى قلبا طيبا، يقيم بين صدره، ووجها ودودا يجعل من يراه يحبه فورا، وكان هناك شيئا ما مشترك بينه وبين نورسين، ربما هي روحه التي تشبه روحها الطاهرة، أو ربما هو قدر يجمعهما، وبعد أن تناول الرجل الطبق بشراهة، وقد كاد الجوع ينال منه، قدم لها شكره وامتنانه، فسألها:

ـ ما اسم الكريمة التي استضافتني؟

أجابت وهي تناوله كأس الماء:

ـ نورسين.

أعجب باسمها، فمدحها قائلا:

نورسين معناه ضوء القمر، كنت أعلم أن من تملك هذه الروح سيكون لها اسما مميزا كهذا.

سألته هي الأخرى:

ـ ما اسمك أنت؟

ـ اسمي أنا العجوز يا بنيتي، لا اسم لي غير هذا.

تعجبت سائلة:

ـ أيعقل أن تكون دون اسم؟

ـ وما المسميات والأرقام يا بنيتي سوى رموز، نحن أجمل من المسميات والأرقام ومن كل الأشياء، نحن نقدر ونسمى بصفاتنا الجميلة، بقلوبنا الطاهرة هذه هويتنا الحقيقية.

اقتنعت بكلامه؛ فقالت تؤيده:

ـ معك حق، وسأناديك عمي وكفى.

ثم ضحكت، فظل يتأمل عينيها، وخرج عن صمته قائلا:

ـ ما بال ضحكتك في رنتها كسور مخفية؟

ووضع سبابته على ذقنه، متسائلا:

ـ من المفقود الذي أخذ معه بريق عينيك الضائع؟

ـ ذهلت من سؤاله وشعرت وكأنه يعرف قصتها، فتابع كلامه:

ـ أعلم أنك تتساءلين، كيف عرفت صحيح؟

أومأت برأسها في ذهول؛ ثم قالت:

ـ نعم يا عم هو كذلك.

ـ الحقيقة يا صغيرة، أنني أتقن قراءة العيون، وأسمع أيضا حديث القلوب، وما حدث للتو هو أنني قرأت عينيك، فتحدث إلي قلبك وأنا استمعت.

وضع يديه على شحمة أذنه، واستأنف قوله بنبرة هادئة:

ـ أنا أسمع فقط.

وسألت:

ـ وكيف للقلوب أن تحكي فهي خلقت للنبض والحب؟ لا لسان لها حتى تصوغ الكلمات يا سيدي...

أجاب:

ـ بل تحكي يا بنيتي، يمكن أن نفهم المعنى دون أن ينطق اللسان، ألا نفهم الأصم والأبكم دون أن ينطق لسانه ولا حتى تسمع أذنه؟ خطابه لنا نفهمه نحن بالإشارة، وهو يفهمنا بالطريقة نفسها، والقلوب القلوب يا بنيتي عالم آخر، لا أحد يسمع حديث القلوب، إلا من له قلبا طيبا وروحا نقية، من له يا بنيتي ملَكة الفراسة، هو من يسمع حديث القلوب ويقرأ لغة العيون.

وقفت مشدوهة، ثم سألت:

ـ وما الفراسة؟

أجاب بإقناع:

ـ الفراسة يا بنيتي هي مَلَكة رائعة، تمكنك من معرفة الآخرين، تمنحك قدرة التمييز بين الخير والشر، تمكنك من النفاذ إلى الروح ومخاطبتها، ومناقشتها ومحاورتها دون النطق بالكلمات، فهي حديث الروح للروح في صمت آخر.

أعجبت بحديثه وحكمته؛ فقالت ببراءة الطفل:

ـ إذن يمكن لفراستك أن تخبرني أين هو أبي، هل هو على قيد الحياة؟

اكتفى بابتسامة، وصمت للحظة ثم قال:

ـ استمعي لقلبك فله حديث يريد أن يقوله لك، وما سيقوله فقط هو الحقيقة، الحقيقة يا صغيرتي في داخلك أنت.

ثم قام من مكانه يهم بالرحيل، وقدم لها زهرة بيضاء أخرى وقال:

ـ البياض الذي بداخلك يشبه بياضها، والبياض نور كنور القمر ونور الشمس ونور اسمك أيضا، أليس اسمك نورسين يعني ضوء القمر؟ اتبعي ضوئك وستصلين لغايتك.

إن لقاءها مع هذا العجوز لم يكن محض صدفة، ولا عبثا فكل ما يحدث في الكون من حولنا ليس صدفة، بل هو اكتمال لنقص ما في مسارنا، هو قدر محتوم وأمر محكوم بالتنفيذ، في زمن محدد من الأزمنة ومكان من الأمكنة، فالحياة لا تلعب معنا النرد، بل تلعب الشطرنج، والشطرنج يحتاج إلى الذكاء والحكمة والتريث والدقة، وأن تتقن التحرك في رقعتك بدهاء باهر، دون أي خطأ كي تربح اللعبة.

النقلة الثالثة:

"لعبة المطاردة..."

القاعدة الثالثة: "ماذا لو أصبح ما تتسلى به، قد حان موعده ليتسلى بحياتك؟ "

في هذا الصباح ما يستحق الحياة...

كانت هذه العبارة التي ترددها دائما، وتبدأ بها صباحها المشرق، بطاقة رهيبة من التفاؤل والحياة، تركب دراجتها البسيطة كطفلة مجنونة ساذجة، لا تأبه لشيء سوى أن تعيش لحظات الحياة بابتسامة بريئة لا تفارق شفتيها، وتخطف قلوب المارين من حولها، فعادات الناجحين وطقوسهم الصباحية، كانت إحدى نهجها. ولطالما تلبست الإرادة روحها واحتلت كيانها، تنطبق عليها تلك الحكمة الصينية القائلة: **"للنفوس العظيمة إرادة، وللنفوس الضعيفة أمنيات".**اختارت قبل أن تقصد المطعم كما جرت العادة في كل صباح، أن تشتري بعض الزهور البيضاء التي تحبها، وأن تقصد المخفر مجددا، فقد أخذت عهدا على نفسها أن تربح القضية، وأن تبدل كل ما بوسعها لتقنع العميد جيڤارا، توجهت إلى مكتبه لتحقق هدفها لعلها تفلح هذه المرة، وحين دخلت إلى مكتبه وجدته جالسا يرتشف فنجان الشاي، سألها بنبرة عصبية:

ـ أنت مجددا ألا تملين؟

أجابت ببرودة الجليد:

ـ لا ولن أمل يا سيد جيڤارا، أنت الوحيد الذي يمكنه فتح القضية.

قال ساخرا:

ـ قضية لا أمل فيها، ليست إلا مضيعة للوقت.

وصمت ثم أتم قائلا:

ألا تعلمين أن العميد جيڤارا يكره مضيعة الوقت؟ هذا سيعطل عملي في حل قضايا أخرى أكثر أهمية.

لم تهتم بما يقوله؛ فأخرجت علبة الحلوى وهي تتجاهل قوله، ثم قدمت الزهور له قائلة:

ـ اليوم عيد ميلادك، وأنا أعددت هذه الحلوى لك، وهذه الزهور جلبتها من أجلك.

أبعد علبة الحلوى جانبا، ورفض أن يقبل منها ما جلبت له، ثم سألها مستنكرا:

ـ هل أبدو لك طماعا؟

أجاب:

ـ بلى

ـ إذن عليك أن تعرفي أنني عميد نزيه، لا أقبل الرشوة ولا أحتفل بعيد ميلادي.

وأزاح الهدايا من أمامه ثم قال:

خذي أغراضك وابتعدي من هنا، أنت تعطلين عملي.

أبت أن تستجيب له، فظلت ساكنة في مكانها، فقال غاضبا:

ـ ألا تعلمين من يكون جيڤارا؟

انفجرت في وجهه غاضبة، قائلة:

ـ جيڤارا جيڤارا جيڤارا أنت لا تردد إلا اسمك، تبدو معجبا بنفسك ومغرورا صحيح؟ لكن دعني أخبرك من يكون جيڤارا، أنا أعلم من يكون، هو ليس إلا رجلا عديم الإحساس، لا يود أن يستمع لفتاة تبحث عن أبيها لسنوات، الحقيقة أن جيڤارا هذا جبان وقاس.

ثم غادرت المخفر وهي منفعلة، كانت هذه إحدى المرات التي يتجرأ فيها شخص ما على رفع صوته أمام العميد جيڤارا، المعروف بقوته وصرامته، فشجاعة هذه الفتاة كانت قد حركت شيئا ما بداخله، فراح يكلم نفسه مذهولا:

ـ لقد تجرأت على رفع صوتها علي، يا لها من فتاة عنيدة.

ثم حمل علبة الحلوى يتأملها، فابتسم وهو يردد:

ـ هذه أول مرة أتلقى فيها هدية عيد الميلاد.

كانت نورسين قد انهارت، بعد أن فشلت في إقناع جيڤارا بقضيتها، ولم تجد أي طريقة سوى العودة إلى المطعم، فقد جرت العادة أن تطبخ كلما شعرت بالتوتر، انهمكت تعد طبقها المفضل، وكانت "آن" قد لاحظت القلق باديا عليها، فسألتها:

ـ ما الخطب لم أنت قلقلة؟

ردت غاضبة:

ـ إنه المغرور جيڤارا، أنا أكره تصرفاته المستفزة.

تساءلت "آن" بدهشة:

ـ جيڤارا؟

ـ أجل انه هو.

ـ حسنا يا نورسين اهدئي أولا، وأخبريني بما جرى.

هدأت نورسين قليلا تحاول السيطرة على انفعالها، ثم قالت:

ـ لقد طلبت منه أن يعيد التحقيق في قضية والدي.

كانت "آن" ترى أن نورسين تتمسك بأمل كاذب فعودة والدها، أمر يكاد يكون من ضرب الخيال، لكنها لم تتراجع في دعمها ومواساتها؛ فقالت تخفف عنها أعبائها:

ـ لعله يغير قراره، ويعيد فتح القضية، من يدري؟

ـ لا أعلم لكنه مغرور.

التقطت أذنيها صوتا قائلا، بنبرة خشنة:

ـ لم أكن أعلم أن وراء هذه الفتاة المتمردة، موهبة مخفية.

وقفت مشدوهة دون أن تحرك ساكنا؛ فتمتمت للحظة تحدث نفسها:

ـ العميد جيڤارا، أظن أنني أحلم.

أخذ العميد "جيڤارا" مكانه بين إحدى الطاولات، وهو يقول مادحا المطعم:

ـ كل شيء هنا يبدو جذابا.

ثم جلس معتدلا، وهو يرتب سترته قائلا:

ـ أنا جائع، هيا أحضري لي طبقا مميزا.

تقدمت نحوه، وقالت بتكاسل:

ـ ما الذي تريده؟

ابتسم، وقال:

ـ يمكنك أن تقدمي لي طبقا مميزا، أنا أترك الخيار لك.

ردت بتكاسل:

ـ أمرك.

لم تكن تصدق أن "جيڤارا" يجلس على طاولة مطعمها، كان الأمر يشبه الحلم بالنسبة لها، فهمست في أذن "آن" قائلة بدهشة:

ـ هل تصدقين أن هذا جيڤارا، العميد العصبي المغرور يلاطفني بكلامه ويمدح مطعمي؟ لاأنا أحلم لا محالة هذا لم يحدث في تاريخ باريس كلها يا "آن".

ـ انه هو، ألا ترين؟

أخفت آن ضحكتها بأناملها، ثم نطقت بصوت يكاد لا يسمع:

ـ لو كنت أثق بالفلك لقلت لك أن موقع النجوم يعمل لصالحك، لكن دعينا نسمي هذا حظا.

سمع جيڤارا حديثهما؛ فقال وهو يفك ربطة عنقه:

ـ يا كثيرة الكلام، أحضري لي ما يسد جوعي، "جيڤارا" يكره الانتظار.

لبَّت طلبه ودون أن تكلمه، فالتهم الطبق كأسد شرس بلا توقف، وحين أكمل طعامه، قال:

ـ لا أنكر أن لك موهبة رائعة في الطبخ، كنت أظن أنك لا تجيدين فعل شيء، سوى رفع ضغطي في كل صباح تأتين فيه إلى المخفر.

قالت تحدث نفسها:

ـ مثلما لك أنت موهبة في حرق أعصابي.

تفحص وجهها وكأنه يسمع ما قالته لتوها؛ فضحك بقهقهة ثم قال:

ـ عملي وخبرتي تجعلني أقرأ أفكارك، يا فتاة.

فأشار إليها، ثم قال:

لكن سأعترف لك بشيء، هذه أول مرة أتنازل فيها عن قراري، أنا دائما ما أستعمل عقلي بدل عاطفتي، لكن هذه إحدى المرات التي أصدق فيها إحساس أحدهم، وأقبل طلبه.

لم تصدق ما سمعته للتو؛ فهرولت نحوه قائلة:

ـ هذا يعني أنك قبلت فتح قضيتي

ـ إنه كذلك، لكن لدي شرط

ردت متلهفة:

كل ما تشترطه أنفذه يا سيدي.

قام من مكانه وأشعل غليونه، ثم أتم قوله:

ـ إن لم تأتي جهودنا بنتائج مرضية سأغلق الملف للأبد، ولن أقبل منك أي طلب.

قالت بثقة:

ـ أنا واثقة أن أبي سيعود

لم تكن نورسين تصدق أنها أخيرا ستحقق الهدف الذي أتت لأجله، فإقناعها للعميد "جيڤارا" يعد بحد ذاته إنجازا عظيما، "جيڤارا" الرجل القاسي الذي لا يقبل كلاما فوق كلامه، ولا أمرا إلا أمره، ها هو الآن يقدم إحدى أكبر التنازلات في حياته كلها، ويُقْدم على الوثوق بفتاة تثق أن والدها على قيد الحياة، رغم الأمل المفقود لدى الجميع، حتى هو لم يكن يصدق نفسه، لكن أمرا ما في هذه الفتاة؛ حرك إحساسا غريبا بداخله ولأول مرة في حياته، ربما حان الوقت كي يجد جيڤارا قلبه المفقود، ويكف قليلا عن حدته وقسوته، كانت هذه القضية الأغرب في باريس التي تعود لواجهة التحقيق

مجددا، ومعروف أن كل القضايا التي تكون لجيڤارا تتكلّل بحل لغزها، والوصول إلى الخيط الأساس، وكيف لا وهو الملقب "بثعلب باريس"، الذي يملك الدهـــــــاء والقوة والنفوذ، كانت قضية التحقيق منذ ذلك اليوم، قد صارت حديث الساعة في كثير من القنوات التي تذيع خبر عودة قضية اختفاء "جان مارسيل" إلى الواجهة، فاستطاعت نورسين أن تثير الضجة مجددا؛ لتصل للهدف فهل يأتي عزمها هذا بنتيجة؟ وما الذي سيفعله "جيڤارا" الذي لا يفشل؟...

النقلة الرابعة:

(الحركة الأولى...)

القاعدة الرابعة: "ليس كل ما يحدث من حولك محض صدفة، لعلها رسالة من القدر كي تحسن التصرف، قبل أن يفوت الأوان..."

الحركة الأولى: "التسلل الخطير..."

منذ أن عادت قضية اختفاء "جان مارسيل" إلى الواجهة، ونورسين لا تكل تعلق الصور على الجذران، لعلها تتلقى اتصالا يطفئ لهيب الشوق المشتعل في قلبها المكلم، بلدغة الحنين والفراق، فما أسوأ الأيام التي نقضيها بعيدا عن أحبتنا، وما أجمل اللقاء وحلاوة الوصال، وما أقسى الفراق على القلوب، لقد كانت تقضي الصباح في الركض والبحث عن أبيها، والمساء في إدارة المطعم، وكان جيڤارا يعجب بعزمها الذي لا يقهر، وأصبح كل يوم يرتاد مطعمها، منذ أن أعدت له تلك الوجبة، التي صارت طبقه المفضل، كانت الساعة تشير آنذاك إلى العاشرة ليلا، حين رن هاتف نورسين، ردت بلهفة لعلها تسمع الخبر المنتظر:

فقال المتصل ببرودة الجليد:

ـ "نورسين" لقد بدأ العرض.

ـ من تكون ؟

ضحك مستهزئا، ثم قال:

ـ لم أرَ أحمقا يسأل عن فاجعته، أنا مصرعك، أنا زمنك، قنبلتك المؤقتة، أنا الانفجار الذي سيضيف المتعة لحياتك الكئيبة، آنسة مارسيل.

ـ لم أفهم ما ترمي إليه، لكنني أظن أنك أحمق لا غير.

ضحك ساخرا بقهقهة ترددت في أذنيها كالصدى، ثم أغلق الخط. لقد كانت هذه الكلمات المستفزة والغامضة كل ما باح به. ظنت أولا أنه أحد المتطفلين؛ فأغلقت الخط ولم تأبه به، كان من عادة هذه الطائشة أن تهتم بما يجري من حولها، لم تكن تحب التدقيق، وبعكس ذلك كانت تتجاهل كل شيء بإفراط، متناسية تلك الحكمة القائلة:

" كل شيء زاد عن حده انقلب لضده"

وفي اليوم التالي، أخذت إجازة لترتاح وتتخلص من عنائها، فجلست في حديقة المنزل وهي ترسـم لوحة فنية جميلة، وترتشف فنجان قهوة كلاسيكية تخـتلط رائحـتها بشيء من عطرها الفرنسي، بدت للحظة شـاردة الذهن، فتجمدت في مكانها تتجول بين دروب ذكرياتها، مسترجعة شريط ماض، أو ربما حدث حاضر شغل بالها، قاطعت سلسلة تفكيرها صديقتها "آن"، وهي تحمل بين يديها طردا لها، قائلة:

ـ لقد أرسل لك أحدهم هذا.

تساءلت مندهشة:

ـ طرد، ولي أنا؟

ردت "آن" تسكب قهوتها، وتحرك قطعة السكر في فنجانها، وهي تشير للطرد بسبابتها:

ـ بالطبع هو لك، فاسمك مكتوب عليه.

ـ معك حق يا آن، لكن من أرسل إلي هذا الطرد؟

ابتسمت "آن" مازحة:

ـ أظنه أحد المعجبين

ضحكت نورسين، ثم فتحت الطرد،ذهلت لما بداخله، فوقفت في ضجر.

و تساءلت غاضبة:

ـ أي مزحة مقززة هذه ؟

ثم ألقت به أرضا، وهي متوترة، اندهشت "آن"، وألقت بفنجانها مصدومة، ثم خرجت عن صمتها بعد لحظة فقد فيها الكلام تلابيبه:

- يا الهي انه دم.

ردت نورسين بغضب:

ـ اللعنة أنا أشمئز من هذا القرف، من الأحمق الذي يلهو معي بهذه المزحة السخيفة؟

توقفت "آن" للحظة تتأمل هذا المنظر المقزز، كان في محتوى الظرف شيئا مثيرا للتساؤل والحيرة، ففي داخله لعبة شطرنج وجنود مكسورة، وبضع قطرات من دم، تغطي المربعات البيضاء داخل الرقعة، دققت آن التي كانت تتميز بفطنة وذكاء حاد في اللعبة، تحاول أن تفهم مغزاها، وقد بدا لها لوهلة أن هذه لم تكن مجـرد مـزحة عابرة، ولعلها رسالـــة تومئ بـخطر قريب، أنبأها حـــدسها بشيء ما على وشك الحدوث، وربما بدأ الزمن يعد دقائق هذا الحدث المفاجئ وبعد لحظة تحليل دقيق، تفوهت بكلمات واثقة:

ـ هذه ليست مزحة، بل كارثة على وشك الوقوع.

ضحكت نورسين ساخرة:

ـ هيا كفي عن مسلسلاتك المرعبة، الأمر لا يستحق كل هذا الترهيب.

ـ بل يستحق، تأملي جيدا في هذه اللعبة، صاحبها يعطيني إحساسا أنه يضمر على نية شيطانية.

جلست نورسين تحاول أن تفكر في كلام "آن"، فقالت:

ـ ماذا تقصدين؟ أفصحي عما يجول في خلدك.

ـ دققي النظر في هذه اللعبة يا نورسين، فهذا الدم والجنود المكسورة، لا يمكن أن يكون مجرد مزحة، حدسي ينبئني أن هناك لغز مثير للاهتمام.

ضحكت "نورسين"، وهي لا تقبل أن تصدق ما تسمعه، ثم قالت ببرود:

ـ كفاك تحليلا، هل أصبحت محققة يا هذه؟

ردت "آن" بنبرة الواثق:

ـ بلى أنا متأكدة مما أقول، هناك خطر ما يحوم حولك ويتربص بك، فهذه ليست مجرد لعبة، بل هي رسائل تنبيه، لا تتجاهلي الإشارات أنا أأمن بالإشارة.

رفضت نورسين أن تتنازل عن موقفها، فقالت:

ـ لا تكترثي لهذه الترهات، إنها مجرد لعبة للتسلية.

ردت "آن":

ـ أحيانا ما نتسلى به قد يتسلى بحياتنا.

ثم أمسكت بيد صديقتها، وهي تخاف عليها من خطر شعرت أنه يقترب منها، فأتمت قولها:

ـ أرجوك كوني حذرة، ولو لمرة واحدة، فقد يكون طيشك ولا مبالاتك المفرطة هي سبب هلاكك، أنا أحذرك لا تتجاهلي ما يرسل لك أبدا.

لم تدرك هذه الفتاة، أعليها أن تثق بكلام صديقتها المقربة، أم أن صديقتها قد أفرطت كثيرا في تحليل ما حولها؟ هل هذه فعلا إشارات تحذر من خطر قادم، أم أنها مجرد أحداث عابرة؟ ...

فكرت قليلا ثم تجاهلت هذا الكم من الأسئلة، وفرت من مكانها تاركة كل شيء خلفها، دون أن تبالي بما يجري من حولها.

النقلة الخامسة:

لعبة الإشارة

القاعدة الخامسة: "لا تغمض عينيك وأنت تمشي في الطريق،
فأنت لا تعلم متى تسقط في الحفرة"

كثيرون هم أولئك الذين يغمضون عيونهم عن الواقع، محلقين بأجنحة خيالهم المفرط إلى عنان السماء، معرضين عن ما يحاول القدر جاهدا حين يمن عليهم، بتنبيههم من صدمة السقوط الموجع، لكنهم يجحدون هذه النعمة فهذا هو القدر الذي يتفنن بأسلوبه المثير أحيانا، بإرسال إشارات لك، قد يعيها عقلك وتفطن بها حكمتك؛ فتظفر بنجاة قدمتها لك الحياة على طبق من خزف، وقد تنجرف وراء لا مبالاتك المبالغة؛ فتنسى أن عليك أن تستيقظ بصفعة لم تكن ضمن حساباتك أبدا.

كانت نورسين وآن في صباح الأحد منشغلتان بالزبائن، الذين أصبحوا يرتادون المطعم بكثرة، فكل ما تعده الأصابع الذهبية التي تمتلكها نورسين يجعلك تكاد تلتهم أصابعك، من طعمه المميز، فقد صار المارون لا يقاومون فكرة ارتياد المطعم، وصار هذا الأمر كأنه إحدى طقوسهم اليومية التي لن يتخلوا عنها أبدا، فبعد أن كان الصدأ يلتهم أبواب هذا المطعم المنسي، لعهد طويل من الزمن ها هو اليوم يتألق أملا وتعود الحياة مجددا لأركانه الميتة، قضت نورسين معظم الساعات في تجهيز الطلبات، كان العرق ينصب من جبينها من كثرة العمل طوال الوقت، لكنها كانت تأبى أن تترك عملها ناقصا ولو للحظة، دخل في تلك الأثناء طفل يقارب عمر العاشرة، ركض نحوها مبتسما، ودون أن يتكلم ناولها صندوقا أسودا، ثم قبل خديها ورحل بعيدا، لم تعرف من أرسل لها هذا الصندوق، ولا ما المخفي في داخله، جلست لترتاح قليلا، ثم انتباها الفضول لتفتح الصندوق، وتستطلع على ما بداخله وما أن فتحته، حتى استغربت مما رأته قائلة:

ـ ما هذه الحماقة؟

انتبهت "آن" لما تحمله نورسين في يديها؛ فاقتربت متسائلة هي الأخرى في دهشة:

ـ صندوق أسود، وقنينة ماء بها أحد جنود لعبة الشطرنج؟

ـ نعم كما ترين

لفت هذا الأمر الغريب انتباه "آن"، وشد تفكيرها بعمق، كان حدسها يخبرها أن هناك لغز وراء هذا الرمز، أخذت القنينة من يد نورسين، وهي تدقق النظر فيها ثم خرجت عن صمتها، وألقت وابلا من الأسئلة على مسمع نورسين، دون أن تزيح بصرها عنها:

ـ لما جندي اللعبة مكسور؟ ما الذي يرمي إليه مرسل الصندوق؟ ولما اختار اللون الأسود للصندوق؟

ووضعت سبابتها على ذقنها تبحث عن أجوبة توقف بها هذا الوابل من الأسئلة المحيرة؛ ثم أردفت قائلة:

ـ هذا الأمر يثير الريب في داخلي، لا أظن أن هذا عبثا فكل شيء بقدر، ولا شيء يجري في الكون بمحض الصدفة، أنا أأمن بالإشارة يا نورسين.

انتفضت نورسين من مكانها قائلة:

ـ أي إشارة؟ بربك يا آن كفي عن تحليلاتك التي لا تنتهي.

ـ لا أنا متأكدة مما أقول، هناك خطر قادم، وهو يحوم حولك يا فتاة، انتبهي وتذكري جيدا ما أقول.

صمتت لوهلة تتذكر اللحظة التي أرسل فيها الظرف، الذي يحمل لعبة الشطرنج الملطخة بالدماء، فقالت مشدوهة:

ـ أيعقل أن يكون نفس الشخص، الذي ترك لك تلك اللعبة أو لنقل الإشارة؟

ضحكت نورسين متجاهلة، ما تقوله صديقتها، ظنت أن الأمر لا يستحق كل هذا الاهتمام؛ فقالت باللامبالاة:

ـ كان عليك أن تكوني محققة يا آن، لا أدري لمَ لمْ تفعلي ذلك؟

ـ كفي عن لا مبالاتك يا نورسين، فالأمر يستحق الاهتمام.

انتزعت نورسين القنينة من يد "آن"، ثم ألقت بها في مكب النفايات قائلة:

ـ دعينا نتمم عملنا، وكفي عن التدقيق في التفاصيل.

لم تقتنع آن بكلام نورسين؛ فحملت القنينة مجددا من مكب النفايات، ووضعتها في الصندوق، ثم خبأتها بعيدا عن نظر الجميع، كانت تجمع ما يرسله هذا الشخص الخفي باستمرار، فلا أحد كان يعلم من يكون ولا ما هي نواياه، ولم يكن من عادتها اللامبالاة التي تتصف بها نورسين.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة ليلا، حين وصل ضيف نورسين المميز، الذي انتظرته طويلا، فقد زارتها في تلك الأثناء أختها المحبوبة والمقربة "مايتي مارسيا"، فتاة في عمر العشرين، بشرتها كبياض الثلج، وشعرها الحريري يبدو وكأن الشمس قد غزلته من لونها الأصفر الذهبي، يغطي خديها الموردتين نمشا أنيق، زادها جمالا وتألقا، يليق بحسنها الأخاذ، كان كل شيء في هذه الفتاة جميلا، وكانت ابتسامة أمل تعلو محياها، وهي مقعدة على كرسي متحرك، بدت أنها لا تعرف في الحياة يأسا ولا استسلاما من قوتها العظيمة، اقتربت منها نورسين وجثت على قدميها، فأمسكت بخديها الموردتين تدللها قائلة:

ـ وأخيرا وصلت أميرتي المدللة، لقد اشتقت إليك كثيرا.

ردت مازحة:

ـ آن الأوان لأثير المشاكل في حياتك يا فتاة.

ضحكت نورسين وجثث على قدميها، تعانق أختها بقوة كبيرة فقالت:

ـ أنت من أراها فتبتسم لي الحياة، وتشرق الشمس في وجهي مرتين

ـ لقد طلبت مني الحضور يا نورسين، وأنا وفيت بوعدي لك، لكنني جائعة وأريد أن آكل من طعام يديك.

صمتت لوهلة، وقد انقلبت ملامحها حزنا، فتابعت قولها بنبرة حزينة:

ـ أريد الطبق الذي كان يعده لنا أبي، يوم الخميس.

أردفت نورسين قائلة، وعيناها تدمعان حزنا:

ـ لا زلت أذكر أنك كنت تحبين هذا الطبق كثيرا، لدرجة أنك تكملين صحنك بسرعة، حتى تأكلي صحني أيضا.

خاطبتهما "آن" وقد تأثرت بهذا المشهد الدرامي المليء بالحنين، وهي تحاول أن تدخل بعض البهجة لقلبيهما المحترق شوقا لأبيهما؛ فقالت بنبرة مرحة، وهي تدفع كرسي "مايتي" نحو الطاولة:

ـ تعالي عزيزتي مايتي، أنت ضيفتنا ونحن سنعتني بك كثيرا.

ردت مايتي مبتسمة:

ـ لا زلت الفتاة اللبقة والذكية، صاحبة النظارات والنظرة العميقة، أنت لم تتغيري أبدا يا آن.

علقت نورسين ساخرة:

ـ كان على هذه الفتاة أن تكون في المخفر الآن، أنا متأكدة أنها ستكون محققة ناجحة.

حضرت نورسين الطبق المميز لها ولأختها، وقضت يوما مميزا برفقتها حتى حان موعد العودة للمنزل، فعادوا جميعا إلى منزلهم، وعند وصولهم دست نورسين يدها في جيبها لتخرج المفاتيح، وتقدمت نحو الباب تهم بفتحه، لكنها فوجئت بعبارة كتبت بالخط العريض، "استعدي يا أرنبي الودود، لقد بدأت المطاردة"، أثار هذا التصرف تضجرها، فقالت بلهجة غاضبة:

ـ هذا يكفي يبدو أن أحد المتطفلين بالحي يعبث معي، ربما سأقدم شكوى للشرطة حتى يكف عن هذه المزحة السخيفة.

تساءلت نورسين، مستنكرة:

ـ أتظنين أن الأمر مزحة حقا يا نورسين؟

ـ وهل هناك أمر آخر لا أعرفه، أنظري فهذه مجرد تصرفات صبيانية.

فتحت الباب ثم دفعت كرسي أختها حتى تدخلها إلى البيت، فجلست تشرب كأس ماء، وهي تستريح من تعبها، لكن "آن" أبت أن تتحرك من مكانها، وظلت كالصنم واقفة عند الباب تقرأ العبارة لعدة مرات، وكأنها تبحث عن لغز فيها، ثم حدثت نفسها وهي تنظر بحسرة لصديقتها:

ـ أنت لا تعلمين يا نورسين أن شكوكي تزداد في كل مرة، لكنك ترفضين تصديقي. لا أدري لم ينتابني الإحساس بالخوف عليك؟ أشعر باستمرار أن هناك من يترقبك، لا يمكن أن يكون كل هذا مجرد مزحة، أنت محاطة بالخطر يا صديقتي، سأصلي لله كي لا يمسك سوء.

ردت نورسين بلامبالاة:

ـ هيا يا "آن" كفي عن جنونك الآن

كان الشك لا ينفك يراود "آن"، التي أنبأها حدسها بشيء غريب على وشك الحدوث، بينما كانت نورسين في الوقت نفسه، غير مبالية بما يجري من حولها، لا أحد كان يعلم من هو على صواب، هل نورسين حقا تحت مراقبة أحد ما يسعى لأذيتها؟ وهذا ما تومئ له كل إشارة يرسلها لها، أم أن "آن" تبالغ في تحليل كل شيء؟...

الأمل والإصرار يصنعان المعجزة دائما...

بدأت نورسين يومها بحماسة في مطعمها، وهي تطبخ كعادتها كان الفرح لا يفارق ملامح وجهها البريء، كان الجميع منهمكا في عمله بتركيز فهناك "آن" التي تسجل طلبات الجالسين على مائدة الطعام، وهناك اللطيفة "مايتي" التي تقرأ أحد كتبها المفضلة، تذكرت نورسين لوهلة أن عليها في هذا اليوم زيارة العميد "جيڤارا"، لتشكره على إحياء القضية المنسية ولتتبع الجديد، لعلها تسمع الخبر المنتظر، فجهزت نفسها ثم قصدت المخفر وهي تحمل بين يديها باقة من الورود البيضاء التي تحبها، كان جيڤارا يدخن سيجارته حين دخلت إلى مكتبه فاستقبلها، وهو يبتسم قائلا:

ـ لقد عادت الفتاة المتمردة، لإزعاجي مجددا.

ضحكت ثم قالت بنبرة خجلة:

ـ أنا آسفة يا سيدي، لكنني أتيت اليوم لأشكرك فقط

وناولته باقة الورد وبعض الطعام الذي يحبه، أخذه منها هو الآخر، وهز رأسه مبتسما ثم قال:

ـ تعجبني طريقة إقناعك للآخرين، لكنني جيڤارا تذكري هذا جيدا.

وأطفئ سيجارته، ثم تفحص وجهها وكأنه يقرأ ما تود أن تقوله، قبل أن تنطق هي بكلمة، فخرج عن صمته قائلا:

ـ ما تسألين عنه لم نجد جوابه بعد، لا زال فريقي يبدل كل ما بوسعه لأجل قضية أبيك آنسة مارسيل.

شعرت بالحزن والأسف؛ لأنه عليها أن تحتمل أكثر مما احتملته، من قبل لكنها استجمعت شجاعتها، وأخفت انكسارها بابتسامة جافة فقالت:

ـ حسنا سيد "جيڤارا"، لا بأس سيكون كل شيء بخير.

حدث نفسه قائلا:

ـ لا أدري من أين تأتي بكل هذا الأمل، أتراه والدها حقا على قيد الحياة؟ أترانا نعثر على السيد "جان مارسيل"؟ بدأت أصدق أن إحساسها ربما يكون صادقا، رغم أنني رجل لا يصدق جنون العواطف.

خرجت نورسين من المخفر، ولم تتردد في استئناف الطريق، الذي بدأته في رحلة البحث عن والدها المختفي، تحمست أكثر وطبعت أكبر عدد من الملصقات التي تحمل صورة والدها، فعلقتها على جدران باريس كلها رغم الحر الشديد والظمأ، الذي كانت تشعر به إلا أنها لم تتوقف أبدا عن عملها، فما أجمل المرء حين يقاتل لأجل أحلامه وأهدافه، حين يفدي في سبيل ذلك كل ما يملكه من جهد وصبر. وبعد ساعات طوال قضتها عادت إلى المنزل منهمكة، وقد تورمت قدامها كللا لاحظت "آن" تعب نورسين الذي يترنح على ملامحها؛ فسألتها:

ـ أين قضيت هذا اليوم، يا نورسين؟

ردت عليها، وهي تنزع حدائها:

ـ كنت في المهمة التي أتيت لأجلها إلى باريس

ـ تقصدين قضية والدك.

ـ وهل لي قضية أهم منها؟

حدثت "آن"، نفسها قائلة:

ـ لا زلت لا أصدق أن السيد مارسيل لا زال حيا، لكنني ومع ذلك سأثق بحدسك ربما يكون قلبك أصدق من كل الأدلة والاحتمالات.

قالت مايتي وهي تتأوه، بعد أن شعرت بالنعاس يتسلل إليها:

ـ أنا متعبة أريد أن أنام.

اقتربت نورسين من أختها وقبلت جبينها بحنان ثم قالت:

ـ أنت تأمرين وأنا أنفذ يا أختي

أخذت نورسين أختها للنوم، ثم عادت لتحدث "آن" لبعض الوقت، كانت بعض الأسئلة تدور في خلد "آن" لم تجد لها جوابا، فرأت أن الفرصة تسمح لها بذلك، سألت قائلة:

ـ هناك أمر يحيرني يا نورسين، فآخر مرة رحلتم فيها عن باريس لم تكن مايتي مقعدة، كيف أصبحت كذلك؟

تنهدت نورسين بحزن، فقالت بنبرة انكسار:

ـ إنه ذاك الحادث الشؤم؟

ـ حادث؟ أي حادث؟

قبل سنتين من الآن كنت ألعب بالطائرة الورقية، على إحدى المنحدرات بلندن، كنت أحب فكرة اللهو بالطائرات الورقية، قرب المنحدر، كان هذا الأمر يشعرني بمتعة خاصة، وفي كل مرة كانت مايتي ترافقني لأجل هذا الأمر، وذات مرة في غفلة مني تعثرت قدماي وكانت مايتي تقف أمامي، ودون أن أقصد دفعتها من المنحدر، كادت تموت لولا ألطاف الله، وكل هذا بسبب تهوري.

قامت "آن" من مكانها مشدوهة، ثم تمتمت قائلة:

ـ يا إلهي هذا يعني أنك من دفعها من المنحدر، حين تعثرت دون قصد.

ـ نعم، منذ ذلك اليوم وأنا أعتبر نفسي مذنبة في حقها.

ـ لكن هذا كان حادثا، فأنا أعرف كم تحبين أختك.

ـ أعلم أنه دون قصد، لكن طيشي هو السبب، والآن أختي مقعدة وتدفع ثمن حماقاتي التي لا تنتهي.

ـ يبدو أن القدر كان قاسيا مع مايتي يا نورسين، لكن الحياة هكذا تفاجئنا دائما بغير المتوقع، ففي النهاية نحن نسير نحو المجهول، ولا علم لنا بما تحيكه الأيام في الخفاء.

كان ذلك الحادث الذي قلب حياة "مايتي" رأسا على عقب، فكيف سيكون الحدث الذي سنشهده داخل هذه اللعبة، التي ما زالت مستمرة في الخفاء؟

"الحفل الأسود"

الحركة الأولى: " السقوط الموجع..."

في اليوم التالي كان منزل نورسين يعج بالضيوف، ويموج بالحركة والألوان وكانت الموسيقى الصاخبة تملأ كل ركن في البيت، فتنكر كل الضيوف في أزياء مختلفة ومتنوعة، هناك من تنكر في زيي إحدى الشخصيات الكارتونية، وهناك من تنكر في هيئة أحد الشخصيات المعروفة، ومنهم من أخفى ملامحه بمساحيق التجميل المبالغة، وقد وضع بعضهم أقنعة لا تظهر منها سوى عيونهم، كانت نورسين قد تألقت بارتداء فستان أسود وشعر مجعد زادها جمالا وأناقة، وقناع أسود قد غطى نصف ملامحها، وعطر فرنسي راق، أما مايتي فقد اتخذت شكل "سنو وايت" (بياض الثلج) في كل شيء، كما ارتدت "آن" زي الشرطة، وكان يناسب شخصيتها الذكية كثيرا، كان الجميع يرقص ويحتفل دون توقف وفجأة دخل رجل قوي البنية معتدل الطول، يرتدي سترة سوداء وقبعة بها مربعات بالأسود والأبيض، ويضع قناعا أسود، وقد غطى يديه بقفازتين من الأسود أيضا اقترب من نورسين ثم أخرج من جيب سترته زهرة حمراء؛ فقدمها لها مبتسما دون أن يتفوه بكلمة أخذتها منه فشكرته قائلة:

ـ أشكرك على هذه الزهرة سيدي.

استمر في صمته فأزاح قبعته، وانحنى نصفيا ثم وقف معتدلا مرة أخرى، ووضع قبعته على رأسه، واكتفى بابتسامة وظل يحدق بها خلف قناعه، مستمرا في صمته أثار تصرفه هذا دهشتها؛ فسألت:

ـ هل أعرفك سيدي؟

هز رأسه بالنفي، ثم اختفى بين الضيوف متجاهلا إياها، وكان يلتفت يمينا وشمالا وكأنه يبحث عن شخص ما، فركز نظره على مايتي وظل واقفا يحدق بها، ودون أن يبعد بصره عنها اقترب منها فنطق أخيرا، وقال:

ـ سنوايت هنا دون أقزامها السبعة.

ابتسمت مايتي بلباقة، وقالت:

ـ أقزامي السبعة في إجازة.

ابتسم وأخرج من جيبه منديلا، فلفه على يديه بطريقة سحرية، ثم أخرج منه تفاحة حمراء، وقدمها لها قائلا:

ـ الآن تفاحة سنوايت صارت جاهزة.

أعجبت مايتي بما رأته للتو، فقالت بإعجاب وقد أخذت من يده التفاحة الحمراء:

ـ يا له من عرض رائع.

رد بصوت يكاد لا يسمع:

ـ العرض الحقيقي لم يبدأ بعد

رفعت التفاحة لتقضمها، ثم توقفت لحظة وقالت:

ـ في القصة حين تأكل سنوايت التفاحة تكاد تموت، ثم ينقدها الأمير

ضحك، فأردف قائلا:

ـ في هذه القصة لن تموت بياض الثلج بعد قضم التفاحة، ولا يوجد أمير يعيد لها الحياة.

اطمأنت مايتي له؛ فقضمت التفاحة ببراءة ثم سألته:

ـ ما اسمك؟

ـ أنا بلا اسم بلا هوية وبلا حد

ضحكت قائلة:

ـ لا يوجد شخص نكرة.

ـ أنا لست نكرة، ولست معرفة، أنا بلا حد.

ـ أيعيش المرء بلا حد يا رجل؟

ـ نعم أنا أفعل

ـ إذن أأناديك إن كنت بلا اسم رجل القبعة، أم صاحب القناع الأسود؟

ـ لا تهمني الأسماء ولا الألقاب، يمكنك أن تطلقي أي اسم تحبين.

ـ الساحر "ذو القفازتين"، يناسبك أكثر.

ـ كما تريدين آنستي.

اقترب منها، ثم همس في أذنيها قائلا:

ـ هل أخذك إلى الجنة؟

ـ لا توجد جنة على هذه الأرض.

ـ جنتك ليست على هذه الأرض.

التفتت إليه في دهشة، وقالت:

ـ كيف؟

أجاب:

ـ الجنة التي سأبعثك إليها أجمل من أي مكان على هذه الأرض، هناك ستتخلصين من هذا الكرسي الذي يعيقك أيضا.

ثم صمت يحدق في وجهها البريء بمكر؛ فاستأنف قوله ببطء:

ـ هناك ستجدين ملاذك الأخير.

ـ ملاذي الأخير؟

دفع كرسيها نحو المسبح، فحدثها بصوت منخفض، وهو يشير للقمر قائلا:

ـ ما رأيك لو أرسلتك إليه؟

ضحكت ببراءة الطفل، ثم قالت:

ـ لا أظن أنك ستستطيع فعلها، لكن لو فعلتها سيكون الأمر ممتعا.

ـ الممتع هو أن تعبث بفريستك قليلا، قبل أن تنقض عليها ولا سيما إن كانت هذه الفريسة ساذجة، وبريئة مثلك.

دفعت عجلات كرسيها تبتعد عنه خائفة، وهي تقول:

ـ لعلك تمزح بالتأكيد أليس كذلك؟

لف كرسيها المتحرك بعنف، ثم حدق في عينيها بغضب وقال:

ـ لم تنتهي اللعبة بعد، الآن بدأ العرض.

شعرت مايتي بالخوف من أسلوب هذا الرجل الماكر، فبدأ قلبها بخفق بسرعة، وشعرت أن أنفاسها تختنق، اصفر وجهها هلعا، فسألته قائلة:

ـ من تكون؟ ماذا تريد؟

أغلق فمها بوضع سبابته على شفتيها؛ ليمنعها من الكلام قائلا:

ـ حين تبدأ اللعبة نركز فقط، نحن لا نسأل، كي لا نشتت تركيز اللاعب، أتقني قواعد اللعبة أولا.

وفتح ذراعيه كصقر يود أن ينقض على فريسته، فجثا على قدميه، وهمس قائلا:

ـ هذه ستكون نقلتي الأولى، قبل أن أقول للحمقاء نورسين كش ملك.

وألقى بها في المسبح وتركها بلا رحمة تصارع الموت، دون أن يبالي بعجزها، ولا أحد كان يعلم من يكون هذا القاتل الغامض، ولا ما هي دوافعه، وكانت هذه هي ساعة الفجيعة الأولى، وبداية ظهور شبح الخطر.

لاحظت "آن" أن "مايتي" مختفية، فأخبرت نورسين بذلك، بدأ الخوف يتسلل إلى قلبيهما، وصارتا تبحثان عنها في كل مكان، دون العثور على أثر لها، حتى رمقت آن كرسيها المتحرك فارغا قرب المسبح؛ فأخبرت نورسين وهرولتا إليه؛ لتجدا الصدمة هناك، فقد كان جسد مايتي يطفو فوق الماء دون حركة...

كان هذا هو المسار، الذي أسدل ستاره عن مسرحية القاتل الخفي، وساعة الحسم التي رقص فيها الموت على أنغام قسوته، لقد بدأ هذا الخفي الأسود نقلته الخطيرة، وكان من قواعد اللعبة، جندي واحد في هذه النقلة عليه أن يغادر الرقعة، وعلى الطرف الآخر أن يدفع ضريبة خسارته، أن يتحمل هذا السقوط المفزع، فالجندي الأقوى لدى الطرف الآخر، وسقوطه هذا أدى لفجوة عميقة، داخل قلب الخاسر، أتذكر أنني قلت لك يا صديقي أن هذا الشطرنج، ليس كأي شطرنج لعبته من قبل؟... وأن هذه الحركات إن لم تتقنها قد تكلفك ثمن حياتك، أو حياة أحب الناس إليك، والآن دعنا نشهد النقلة السادسة لهذا اللاعب المحترف، وما الذي سيفعله معه الطرف الآخر بعد هزيمته الكبيرة؟

النقلة السادسة:

(على طاوية التحقيق)

القاعدة السادسة:

" لا تسمح للفقدان أن يصنع منك دمية يحركها بأهوائه، قف على ناصية الحلم وقاتل حتى تنتصر أو تنتصر"

اتصلت "آن" بالشرطة، حتى تخبره بالفاجعة، لتبدأ عملية التحقيق في مقتل "مايتي"، جاء فريق الشرطة كله، وكانت نورسين منهارة في ركن هذه الغرفة بعد الفاجعة، التي حلت بها، بدأ العميد جيڤارا عمله فسأل آن:

ـ هل تشكون في شخص ما؟ هل لكم خصومات؟

ردت بنبرة، يكسوها الانكسار:

ـ بلى سيدي، نحن لا تجمعنا خصومات مع أحد.

ـ أين كنت أثناء الحادث؟

ـ كنت مع الضيوف.

ـ ألم تلاحظي أي شيء غريب، أو دخول شخص لفت انتباهك؟

ـ لا سيدي الكل كان يضع أقنعة

ـ حسنا آنسة آن، يمكنك الانتظار.

قامت نورسين من مكانها، وحاولت الاقتراب من جثة أختها، والدمع ينهمر على خديها كشلال متمرد، وغصة ألم تعترض حلقها كنصل معقوف يقطع أنفاسها، ويفقدها قدرة الكلام، مدت يدها تحاول أن تمس أختها التي لم تعد إلا جثة هامدة، لكن "جيڤارا" منعها من ذلك، فدفعته بعنف وهي تصرخ:

ـ دعني أريد أن أحتضن أختي.

رد متأسفا:

ـ الإجراءات الروتينية لا تسمح بذلك.

الحركة الثانية: (اللغز المحير...)

كان الألم يعتصر قلب نورسين كما تعتصر أفعى الأناكوندا فريستها، وهي ترى هول الفاجعة التي حلت بها، حاولت أن تجادل جيڤارا الذي منعها من لمس الجثة، فدفعته صارخة وهي تعاركه:

ـ دعني أعانق أختي ربما تشعر بوجودي لعلها تعود للحياة.

رد متأسفا:

ـ لكن لا عودة للأموات يا ابنتي.

لم ترض بما سمعته للتو، كانت تحاول أن توهم نفسها أن الذي يجري من حولها ليس إلا كابوسا أسودا، وربما تحدث المعجزة وتستيقظ "مايتي"، لكن أحلامها هذه كانت ترتفع لسقف المستحيلات، وما تتمناه ليس إلا ردة فعل لنفس مقهورة ضائعة، وعقل لا يستوعب ما وله من هول الصدمة، وبينما هي تعارك "جيڤارا" تحاول ضم أختها، محاولة أن تجد منفذا تفر إليه من هول فاجعتها، عارضها صوت قائل:

ـ لا يسمح بلمس الجثمان، حتى يصل الطبيب الشرعي.

التفت خلفها، فرأت فتاة في العشرينات من عمرها، ذات قوام ممشوق، شعرها كأمواج بحر غاضب، أسود كالليل، ذات ملامح صارمة، وعينان نظرتهما حادة كسيف الساموراي، وعلى يمينها يقف رجل شامخ واثق الخطوات، تبدو عليه الدقة والدهاء، تراجعت نورسين من مكانها فاحتضنتها "آن" تواسيها في أصعب لحظات الأسى هذه، فاقتربت الفتاة منها، وأخرجت من جيب سترتها السوداء بطاقة تعريف ثم قالت:

ـ أنا المحققة "أوليفر جوردن".

ونظرت إلى الرجل الواقف على يمينها، فقالت تشير له بإبهامها:

ـ وهذا المحقق نيكولا لوثر.

تأملت المحققة أولفير الجثة، ثم قالت:

ـ لا زالت صبية، لن أدع هذه القضية حتى نقبض على القاتل.

ثم التفتت للعميد جيڤارا، وقالت:

ـ لقد بدأت مهمتي الآن، وسأكشف عن أوراق هذه الجريمة.

وقال نيكولا متحمسا، وهو ينظر إلى ساعته:

ـ لا وقت لدينا لنضيعه، لقد بدأ العد يا أوليفر.

وصل الطبيب الشرعي يحمل بين يديه حقيبة، وكان خلفه أحد عناصر الشرطة، ثم تبعه بعد بضع دقائق أحد المصورين؛ ليلتقط مشاهد الجريمة، فبدأت الإجراءات الروتينية الخاصة بالتحقيق، رفع المحقق نيكولا صوته قائلا:

ـ لا يسمح لأحد أن يغادر الآن، حتى أعطي الإذن بذلك.

استدارت أوليفر تكلم جيڤارا، وهي تشير إلى رقبة الضحية:

ـ يبدو أنها قضية معقدة، أنظر لرقبة الضحية، من المؤكد أن القاتل قد تعمد خنقها، قبل أن يلقي بها في المسبح.

رد جيڤارا ببطء:

ـ هذا ما انتبهت له، سننتظر تقرير الطبيب الشرعي بعد نقل الجثمان، وإتمام كل الإجراءات سيدة أوليفر.

مرت ساعات على وقوع الفاجعة، فتم فحص الجثمان ونقله من مكان الجريمة، بعد أن أتى خبير البصمات، ليكمل الإجراءات اللازمة.

قال المحقق نيكولا ، يكلم آن وهو يسير إلى إحدى الطاولات:

ـ الحقي بي آنستي، أود طرح بعض الأسئلة عليك.

لحقت به "آن"، فجلست تقابله وجها لوجه، وطرح المحقق نيكولا سؤاله قائلا:

ـ أين كنت آنسة "آن" حين وقعت الجريمة؟

ردت آن، بنبرة المنكسر:

ـ كنت رفقة نورسين في الحفل الذي أقمناه.

ـ ألم تذهبي لأي مكان آخر؟

ـ لا سيدي.

ـ هل تشكين في أحد؟

صمتت آن لوهلة، ثم نطقت بنبرة غاضبة:

ـ أشك يا سيدي، وهل يوجد غيره؟

تحمس نيكولا، فسأل:

ـ من هو؟

ـ رجل الشطرنج.

تساءل في دهشة:

ـ رجل الشطرنج؟

ردت ببطء:

ـ نعم سيدي

سمعت أوليفر حوارهما، فاقتربت منهما، ثم قالت في دهشة:

ـ قلت للتو رجل الشطرنج، أظن أنني سمعتك جيدا.

قالت "آن":

ـ نعم سيدتي، ما سمعته صحيح.

تساءل جيڤارا:

ـ من يكون رجل الشطرنج؟

أجابت آن:

ـ لقد كان هناك رجل غريب، يستمر بإرسال إشارات لــ "نورسين".

سألت أوليفر بلهفة:

ـ أي إشارات؟

ـ لقد أرسل لنا لعبة شطرنج ملطخة بالدماء، وذات مرة كتب على الباب عبارة غريبة.

تساءلت أوليفر:

ـ أي عبارة؟

ـ لقد كتب على منزل نورسين عبارة، " لقد بدأ العرض يا أرنبي الودود استعدي للمطاردة".

قالت أوليفر تكرر هذه العبارة، بتفكير عميق:

ـ لقد بدأ العرض يا أرنبي الودود استعدي للمطاردة"، يجب أن أجد اللغز المخفي داخل هذه العبارة، مثير للاهتمام حقا مثير للاهتمام.

كان العميد "جيڤارا" قد استمع لما قالته "آن" حرفيا، فتاه يفكر مذهولا في حل لهذه القضية المعقدة، فخرج عن صمته قائلا:

ـ أمر محير حقا أمر محير

وتساءل نيكولا:

ـ هل من شيء آخر، أرسله لك أيضا؟

ـ نعم سيدي، لقد كان آخر شيء أرسله هو قنينة ماء وبها أحد جنود لعبة الشطرنج وهو مكسور

كان جيڤارا الرجل الحاد يقف مذهولا على يمين أوليفر، فهذه إحدى المرات الأولى التي يسمع فيها بقضية مثيرة للجدل والغموض كهذه، فانتابه صمت مريب خنق في داخله لغة الحوار، وصار يبحث بين آلاف الأسئلة، التي تقيم جدالا في ذهنه، عن جواب يطفئ لهفة الفضول في كيانه، ثم كسر صمته، بعد أن استجمع ألفاظ الكلام قائلا:

ـ هذه أول مرة نواجه فيها قاتلا كهذا.

سألت أوليفر:

ـ أما زلتما تحتفظان بتلك الأشياء، التي كان يرسلها؟

أجابت نورسين:

ـ نعم سيدتي، لقد جمعتها كلها

قال جيڤارا متحمسا:

ـ إذن أحضريهم فورا

أحضرت "آن" كل ما أرسله رجل الشطرنج لــ "نورسين"، وسلمته لفريق الشرطة ارتدت أولفير قفازيها، وأخذت تتأمل لعبة الشطرنج الملطخة

بالدماء، وهي تحاول أن تنفذ للسر المخفي خلفها، فقالت دون أن تبعد ناظريها عن اللعبة:

ـ لقد تعمد القاتل تلطيخ المربعات البيضاء في الرقعة، دون أن يمس السوداء منها.

واستدارت نحو جيڤارا، ثم أتمت قائلة:

ـ أظنه يقصد بذلك رسالة ما.

سأل نيكولا:

ـ أي رسالة؟

أشارت للمربعات البيضاء، وقالت:

ـ دقق النظر في هذه اللعبة، لقد وضع الدم في المربع الأبيض فقط، وكأنه يقصد بذلك أنه داخل لعبة بين طرفين، فالمربع الأسود هو جهته التي تخول له إمكانية التحرك حيثما شاء، والمربع الأبيض هو مربع خصمه، لقد لطخ مربع خصمه بالدم، وكأنه يمرر رسالة خفية عبر هذه الحركة المذهلة منه.

قال نيكولا:

ـ هناك شفرة يريد أن تحلها نورسين دون غيرها.

وقال جيڤارا متمعنا:

ـ وإيماءة يوحي بها إلى نواياه، وقد قصد بذلك أن شخصا ما سيكون ضحية له، لذلك لطخ الدماء في المربعات البيضاء، دون الأخرى ليعلم خصمه أنه سيهاجم ضحية من أقربائه.

حمل جيڤارا قنينة الماء التي أرسلها رجل الشطرنج، ثم قال وهو يتأملها:

ـ وكان آخر ما أرسله هو هذه القنينة

وقال نيكولا:

ـ فتعمد كسر أحد قطع الشطرنج، ثم أدخلها في قارورة الماء

صمت لوهلة ثم أتم:

ـ وكان يقصد بذلك الجريمة التي نفذها اليوم.

قالت أوليفر :

ـ تماما سيد "نيكولا" لقد كان يقصد بهذه الحركة، أنه سيستعمل وسيلة الماء لقتل ضحيته، وهذا ما جعله يلقي بالضحية في المسبح مستغلا عجزها عن المقاومة، وحاول أن يبقي على الضحية، علامة تؤكد أن الأمر جريمة وليس مجرد حادث، والعلامة التي تركها هي الندبة على رقبة الضحية، تبين تلك الندبة أن الضحية تعرضت للعنف قبل أن يلقيها في المسبح، لتلقى حتفها.

هز نيكولا رأسه قائلا:

ـ أتفق معك أولفير.

وقال جيڤارا:

ـ لكن لم يترك العلامات من خلفه؟

وسأل نيكولا:

ـ هل يتركها للشرطة، أم يتحدى بها نورسين فقط؟

قالت أوليفر:

ـ كلاهما معا، هو يعرف جيدا ما يفعل بل يخطط بذكاء يثير رهبتي، ويذهل عقلي حقا، يشعرني أننا داخل لعبة معقدة، لعبة شطرنج ولعبة تحدي يجمع بين الموت والحياة.

قال نيكولا:

ـ لقد أخبرتنا الآنسة "آن" أنه كتب عبارة على الباب، هل فهمت المعزى سيدة أوليفر؟

أجابت أوليفر:

ـ العبارة التي كتبها على الباب يقصد بها بدْأ المطاردة، أي ملاحقة الضحية، وبداية اللعبة بينه وبين "نورسين".

وصمتت تفكر لبضع ثوان، ثم قالت:

ـ لا زالت هناك بعض الأسئلة، التي لم أجد لها جوابا.

سألها نيكولا:

ـ ما هي؟

قامت من مكانها وحملت كأس ماء، ثم شربته فردت:

ـ لماذا القاتل يرسل الإشارات لنورسين فقط ؟ ولمَ لمْ يهاجم نورسين وهاجم أختها مايتي؟ ما علاقة نورسين والقاتل والضحية بلعبة الشطرنج؟

صمت جيڤارا، يحاول أن يجد الجواب، فقال:

ـ هذا ما يحيرني أيضا

كان لغز القضية يزداد اشتباكا، وكانت الأسئلة تتجادل في ذهن المحققين، لا أحد كان يدري ما السر وراء الطريقة التي يستعملها القاتل في تنفيذ جريمته، ولا ما الدافع وراء ما يفعله.

اليوم الثاني من التحقيق في قضية "مايتي مارسيل"

جلس المحقق نيكولا والمحققة أوليفر، في مكتب العميد جيڤارا بالمخفر، يكملان التحقيق في القضية، قامت أوليفر من مكانها، وطلبت أن يحضروا لها بعض الأغراض الخاصة بملف القضية، التفتت للمحقق نيكولا تخاطبه:

ـ علينا أن نفكر في طرق مختلفة؛ كي نصل إلى فك اللغز سيد "نيكولا"

رد نيكولا واثقا:

ـ لم يسبق لأوليفر ونيكولا، أن أخفقا في أي قضية؛ لذا اطمئني سنفك هذه الشفرة

ـ لم كان القاتل يستعمل لعبة الشطرنج يا ترى؟ ولم اختار نورسين كخصم له، ولم يهاجمها هي بل هاجم "مايتي"؟

رد جيڤارا حائرا ومرتبكا:

ـ هذا ما أعجز عن فهمه

وقال نيكولا:

ـ مهمتنا الآن أن نحاول البحث عن الدافع، أقصد دافع الجريمة.

قالت أوليفر:

ـ لو كان القاتل يريد المال لاختطف الضحية وهدد عائلتها بالمال، مقابل حياتها، لكنه لم يفعل ذلك، وحين لا يكون الدافع هو المال إذن سنفكر في أن القاتل ربما يريد الانتقام.

هز جيڤارا رأسه، وقال:

ـ الدافع هو الانتقام، إذا كان الدافع هو الانتقام؛ فهذا يعني وجود خلافات.

وأردف نيكولا قائلا، وهو يشعل سيجارته:

ـ أظن أن عائلة مارسيل تخفي عنا سرا

سأل العميد جيڤارا:

ـ أي سر؟

أجابت أوليفر:

ـ هذا ما سنعرفه حين نحقق مع الآنسة نورسين مارسيل، وأيضا سنستدعي والدتها السيدة أوليفيا مارسيل.

اليوم الثالث من التحقيق...

ذهب العميد جيڤارا رفقة أوليفر ونيكولا إلى منزل مارسيل؛ ليكملوا عملية التحقيق بحثا عن دافع الجريمة، كانت السيدة أوليفيا مارسيل والدة نورسين، قد عادت قبل ساعتين من لندن. جلست تقابل المحققة أوليفر وجها لوجه فقالت أوليفر:

ـ نحن نتأسف حقا للفاجعة التي أصابت عائلة مارسيل،

ردت السيدة أوليفيا مارسيل بنبرة حزينة والدمع يملأ عينيها:

ـ هذا قدرنا سيدتي

قالت أوليفر بعد هنيهة:

ـ لدينا بعض الأسئلة التي نود طرحها عليك سيدة أوليفيا، نحن كعناصر شرطة لا يمكننا الانتظار أكثر لنحقق في القضية.

هزت السيدة أوليفيا رأسها موافقة، فأردفت أوليفر قائلة:

ـ هل تشكين في أي أحد ؟

أجابت السيدة أوليفيا:

ـ لا أبدا

ـ متأكدة، ألا يمكن أن يكون لعائلتك، أو زوجك المختفي أي خلافات؟

ردت وهي تتجنب النظر في عيني أوليفر:

ـ ليس لزوجي المختفي، ولا لعائلتي أي خلافات مع أحد.

لم تقتنع أوليفر بما قالته السيدة أوليفيا، فقالت بنبرة شك:

ـ لم أشعر أنك تخفين عني أمرا ما؟

ارتبكت السيدة مارسيل قليلا؛ ثم قالت:

ـ لا أملك ما أخفيه عنك سيدتي.

ـ آمل أن تتعاوني معنا، فنحن نطمح لتحقيق العدالة لروح ابنتك.

قالت السيدة أوليفيا بنبرة حادة:

ـ وأنا لا أريد شيء غير العدالة

صمتت للحظة، ثم قالت بهدوء:

ـ وأريد أكثر أن أحمي عائلتي

سألتها أوليفر:

ـ من يهددك سيدة أوليفيا مارسيل؟

تمتمت قائلة:

ـ لا أحد

نهضت أوليفر من مكانها، ودنت من السيدة مارسيل فانحنت نصفيا، وقالت تهمس في أذنيها بصوت منخفض:

ـ هل أفهم من هذا أنك تخافين من أحد ما، أو شخص ما أنت تعرفينه يلاحقك ويلاحق عائلتك؟ ما سرك يا سيدة أوليفيا؟

نهضت السيدة أوليفيا من مكانها منتفضة، ثم قالت بغضب:

ـ لا أملك سرا أيتها المحققة، كفي عن هذه الأسئلة رجاء.

ردت أوليفر بنبرة حادة:

ـ بل تخفين أمرا ما لا تريدين أن تعلم به الشرطة.

وأتمت قولها بنبرة هادئة:

ـ لكنني أوليفر، والمعروف عني أني لا أترك قضيتي، دون الكشف عنها سيدة مارسيل.

نظرت السيدة أوليفيا في عيني أوليفر بحدة، وقالت واثقة:

ـ لا يهم ما يدور في ذهنك أيتها المحققة، ما أريد أن تعرفيه حقا أنني لن أترك عائلتي دون حماية، هذا كل ما لدي لأقوله لك الآن.

شعرت أوليفر أن السيدة مارسيل تخفي شيء لا تود أن يعرفه أحد، فهي لم تقتنع بكلامها أبدا، وكانت شكوكها تزداد حيال هذا الأمر.

هزت "أوليفر" رأسها، ثم قالت بنبرة هادئة بعد أن سيطرت على انفعالها:

ـ سأذهب الآن "سيدة مارسيل"، لكننا لم ننتهي بعد سأعود إليك مجددا.

وارتدت قبعتها وهي تنظر للسيدة أوليفيا باستفزاز، ثم انصرفت عن منزل مارسيل، تبتعها نورسين قبل أن تركب دراجتها النارية فصرخت قائلة:

ـ توقفي رجاء محققة أوليفر.

توقفت أوليفر فسألت مندهشة:

ـ ماذا هناك؟

ـ سمعت حديثك مع أمي

ـ نعم وماذا بعد؟

ـ لم تصرين أن أمي تخفي سرا؟

ـ هذا ما ينبئني به حدسي كمحققة

ـ لكن ربما أنت مخطئة

ـ لا أعلم لكن عملي يفرض علي ذلك، سيبقى الجميع تحت أصابع الاتهام حتى تظهر الحقيقة

ـ أمي أكثر من يريد العدالة لأختي

ـ في بعض الأحيان تتجاوز الحقيقة حدود الخيال، لذا ربما هي خاضعة لتهديد أو تخفي أمرا لا تود أن تعلمي به أنت ولا حتى نحن.

ـ لكن أنا أريد أن أعرف، لذا أعدك أنني سأساعدك لنصل إلى الحقيقة، حتى لو دفعت حياتي ثمنا لذلك، لكن في المقابل أريد أن تعديني أنك ستعرفين سبب مقتل أختي وأيضا ستحققين العدالة لروحها أيتها المحققة

مدت "نورسين" يدها للمحققة لتصافحها وتقطع لها هذا الوعد وقالت "أوليفر" واثقة:

ـ أعدك أن عيني لن تنام حتى أحقق العدالة.

اليوم الرابع من التحقيق ...

كانت أوليفر بالمخفر في مكتبها تحاول فك شفرة القضية المعقدة، برفقة المحقق "نيكولا" وكان يسعيان بكل قوتهما إلى إزاحة الستار عن لعبة الشطرنج الغريبة التي يتسلى بها القاتل، فاتصلت أوليفر وفي هذا اليوم من بداية التحقيق الذي كان يصادف الاثنين من تاريخ مايو، بـــ "نورسين" واستدعتها للحضور بمكتبها في المخفر، حضرت نورسين آنذاك ولبت طلب المحققة فجلستا تتبادلان أطراف الحوار، فقالت أوليفر:

ـ نورسين حاولي أن تركزي معي جيدا، وأجيبي عن جميع الأسئلة.

حملت فنجان قهوتها والتعب يتربص على ملامح وجهها، والتفتت نحو يمينها حيث يقف نيكولا ثم قالت:

ـ حان دورك نيكولا، ابدأ التحقيق مع الآنسة مارسيل

جلست نورسين على طاولة التحقيق، تقابل وجه المحقق نيكولا وتنظر إليه بعينين ملؤهما الغضب والرغبة في الانتقام من قاتل أختها، باشر "نيكولا" عمله وهو يسألها:

ـ لم تتصلي بالشرطة آنسة نورسين، حين تلقيت التهديد هل يمكنني معرفة السبب؟

أجابت بحسرة:

ـ لم أكن أصدق أنه تهديدا، كنت غبية حين ظننته تطفلا.

ـ تطفلا؟

ـ نعم سيدي هذا الإثم لن أغفره لنفسي، لقد كنت متهورة وغير مبالية، ولا مبالاتي المفرطة كان ثمنها أختي.

ـ يمكنك أن تتخلصي من الشعور بالذنب؛ إذا قدمت لنا بعض المساعدة، فنحن في النهاية لا نريد إلا العدالة.

ـ أنا مستعدة لتقديم روحي مقابل العدالة؛ سيد نيكولا.

ابتسم نيكولا، وقال:

ـ هذا ما توقعته منك آنسة نورسين.

وتحرك من مكانه، فوقف ثم أردف قائلا:

ـ أخبريني يا نورسين، كم من مرة اتصل بك رجل الشطرنج؟

ـ مرتين سيدي

ـ أتشكين بأحد من الماضي؟

ـ لا سيدي، لا أعرف أحدا يمكنه أن يفعل ذلك

ـ هل كان لوالدتك السيدة أوليفيا، خلافات مع أحد؟

ـ لا سيدي أمي امرأة هادئة، لم تكن تريد الشجارات ولا الخلافات كل ما كانت تبحث عنه هو أن تضمن حياة هادئة لنا جميعا، خاصة بعد أن اختفى والدي.

ـ ألا تشكين في صديق قديم لوالدك المختفي أو أحد معارفه؟

ـ كل أصدقاء والدي كانوا جيدين، لا أذكر أن لأبي أي خلافات مع أحدهم.

ـ وأنت آنسة "مارسيل"، أليس لك أي خلافات؟

ـ لا سيدي لست على خلاف مع أحد.

تنحنح المحقق نيكولا قائلا:

ـ لا زلنا لا نعرف لماذا يهددك رجل الشطرنج؟ ولم اختار لعبة الشطرنج دون غيرها، ليوصل لك رسائل التهديد؟ لم في نظرك لم يستعمل لعبة الورق أو أي لعبة أخرى؟

لم تعرف نورسين أي جواب لأسئلة نيكولا، فاكتفت بالصمت.

وأردف نيكولا قائلا:

ـ لعلك تذكرين يوم اختفاء أبيك

ـ نعم سيدي أذكره، فنحن في النهاية لا ننسى فاجعتنا الكبرى.

ـ حسنا، أخبريني ما تاريخ اختفائه؟

ـ كان ذلك اليوم الخميس الأسود 21 مايو وعندها كنت مجرد طفلة.

ـ كيف كانت حالة والدك في ذلك اليوم؟ هل كان حزينا غاضبا؟

ـ كان والدي في مزاج جيد، ووعدني أن يحضر لي بعض الألعاب التي أحبها كنت صغيرة آنذاك، كان سعيدا لأنني تفوقت في دراستي، ووعدني ي تلك الليلة أن يعود إلى المنزل باكرا، وأن يحتفل بنجاحي، حضرنا كل سيء في تلك الليلة، انتظرته طويلا وكنت أراقب ساعتي في كل ثانية تمر، ولا زلت أنظر لساعاتي التي أهداني إياها ولكن والدي لم يعد.

لم يستطع "نيكولا" أن يجد الجزء الضائع في قضيته، التي يبحث فيها عن سبيل يقوده إلى الحقيقة، شعر لوهلة كأنه يبحث عن إبرة في كومة قش،

وعليه أن يدقق النظر ويحسن التحرك في كل خطوة يقوم بها، وكان على كل محقق يحقق في هذه القضية أن يتحلى بالصبر؛ ليستطيع الخوض في هذه المعركة المعقدة.

لم يكن هناك خلاص من حيرة الأسئلة التي لا بوابة لها، وكان العميد جيڤارا قد غادره النوم وأبت جفونه أن تغمض وهو يتتبع مسار القضية، شعر بالعجز يقيده من جميع الجوانب، فاستدعى نيكولا وأوليفر إلى مائدة العشاء؛ ليكلمهما في القضية أخذ كل منهما مكانه على المائدة فقال جيڤارا مرتبكا:

ـ لم أعد أشعر بالنوم منذ وضعت هذه القضية نصب عيني.

قال "نيكولا":

ـ ونحن أيضا سيد "جيڤارا"، لا زلنا نود الخوض في هذه المعركة، ونحتاج الصبر ثم الصبر.

قالت "أوليفر"، وهي ترتب خصلات شعرها:

ـ في كل مرة أسأل نفسي، لم القاتل يربط جريمته بلعبة الشطرنج؟ ما علاقة الشطرنج بالجريمة وبالقاتل أيضا؟

قال "نيكولا" :

ـ ربما هو الهوس

رد جيڤارا متسائلا في ذهول:

ـ الهوس؟

هزت "أوليفر" كتفيها وفكرت قليلا، ثم قالت:

ـ ربما معك حق سيد نيكولا، قد يكون القاتل مهووسا بالشطرنج، ولكن حين أفكر مليا أجد عثرة أمامي، وهي ما الدافع لارتكاب الجريمة وقتل شخص بريء؛ بسبب الهوس بلعبة عادية؟

هزت رأسها بتعجب، وأتمت:

ـ أظن أن الإجابة التي ستقطع ذيل الشك، وتكشف بعضا من ملامح القضية الغامضة توجد لدى السيدة "أوليفيا مارسيل".

أردف نيكولا قائلا:

ـ هناك شخص واحد يساعدنا في هذه القضية إنها "نورسين".

قال جيڤارا:

ـ يمكنني أن أضمن أن "نورسين" ستكون الورقة الرابحة في يدنا كعناصر شرطة، أعرفها جيدا لقد استطاعت أن تقنعني بقضية البحث عن والدها المختفي، لا أظنها ستستسلم حتى تحاول الكشف عن القاتل، نحن نملك شخصا صادقا ولصالحه كشف ملامح القضية.

وقالت أوليفر :

ـ ونملك شخصا معارضا لا يريد أن يكشف لنا بعضا من أسرار القضية، وهو "السيدة مارسيل".

تساءل جيڤارا وهو يضع سبابته على ذقنه في حيرة:

ـ هذا ما يحيرني لم "السيدة مارسيل" تأبى أن تكشف لنا عن سرها؟

ـ لا تقلق سيد جيڤارا، لقد أصبحت "السيدة مارسيل" هدفي الآن، وجسري الذي سأعبر من خلاله إلى بوابة الحقيقة.

ـ الحق ينتصر دائما يا "أوليفر"؛ لذلك أنا متأكد أن كل الأمور ستكون بخير، وإلا لما اخترتك لأسلمك قضية "مايتي مارسيل".

وقف نيكولا من مكانه معتدلا، وقال:

ـ يبدو أن لعبتنا الماكرة ستبدأ الآن يا أوليفر

تساءل جيڤارا:

ـ أي لعبة سيد نيكولا؟

ابتسم نيكولا، وقال واثقا:

ـ أنت تعلم جيدا يا سيدي، أسلوبنا في التحقيق وللقبض على قاتل محترف كهذا، علينا أن نفكر مثله، حين تعرف كيف يفكر خصمك ستعرف كيف توقعه في شباكك، أوليفر هي العقل المدبر والعنصر الأذكى بيننا كفريق شرطة وأنا ماهر في تنفيذ الخطة بوسائلي المعتادة سيد جيڤارا

قالت أوليفر متحمسة:

ـ وأنا جاهزة سأفكر في خطة تجعلنا نفك هذا اللغز، وأظن أنني أعرف جيدا من أين أبدأ

الطريق نحو الحقيقة ...

"منزل مارسيل"

كانت "نورسين" تشعر بالضياع، فهي مجبرة ليكون الصبر زادها في رحلة الحياة القاسية، لم تكن تعلم أي قضية ستخوض الآن، وبعد أن أتت إلى باريس لتبحث عن والدها وبدأ بصيص الأمل يظهر في سبيلها، عصف بها القدر ليفقدها شخصا هو أيضا الأحب لقلبها، فما أقسى الفقدان حين يتفنن في اختيار ضحاياه، لم تكن تعلم أن الحياة تخبئ لها هذه النقلة السوداء، ذلك أن لا أحدا يدري متى تتحقق أسوأ كوابيسه، في مشهد درامي يفجعنا من حيث لا نحتسب، فنورسين الفتاة الطائشة قادتها أقدام سذاجتها لتلك المغامرة، أو لنقل إلى الضربة القاضية، التي لا تنسى وربما لن تنسى، وهل ينسى الإنسان أكبر آلامه؟ فهذه الطعنة لم تكن مجرد هزة عاطفية، أقامت تلك الحرب بداخلها وشردت مشاعرها، بين دروب الوحدة والوجع، بل كانت السقوط الموجع الذي خلف أكبر فجائعها، كانت الساعة آنذاك تشير إلى الحادية عشر ليلا، حين رن هاتف "نورسين" أجابت بتكاسل الأسى:

ـ ألو من؟

رد المتصل بنبرة هادئة:

ـ كيف وجدت عرضي الممتع، يا أرنبي الودود؟

شهقت متوترة وفقد الكلام تلابيبه من رعبها، وقالت تتلعثم:

ـ هذا أنت...

رد ساخرا:

ـ بل شبحي

جمعت قوتها وهي تسترجع لحظة موت أختها التي صارت تحتل ذاكرتها فغضبت بشدة؛ ثم صرخت قائلة:

ـ عليك اللعنة أيها المجرم، أنت قاتل.

ضحك، ثم نطق مستفزا:

ـ أنا القاتل أم غباءك، ما ذنبي إن لم تفهمي قواعد اللعبة؟ كان عليك أن تفكري جيدا لتنقدي أختك من سطوتي، فالعنكبوت لا يرحم من يعلق في شباكه.

ـ أنت مجنون مريض ومهووس.

ـ اهدئي يا أرنبي الودود، فاللعبة لا زالت مستمرة نحن لم ننتهي بعد، يا ترى من سيسقط في لعبتي حين أقوم بالنقلة التالية، أمك أم "الشقراء دولسي"؟ أم صديقتك المقربة آن؟ أم المحققة الشقية "أوليفر"؟

ـ توقف ولا تلمس أي أحد منهم فأنت تلاحقني صحيح؟

رد ببطء:

ـ ألاحقك لأنك خصمي في شطرنجي هذا، لكن من قواعد اللعبة أن يسقط الجنود أولا فإذا مات الملك انتهت اللعبة، وإن انتهت اللعبة؛ ستنتهي متعتي. وأنت ترمزين للملك في لعبتي؛ لذا لن تموتي حتى ننهي اللعبة، سيأتي دورك، وستكونين آخر من سيسقط في رقعتي.

ـ كيف تجعل لعبة للتسلية أداة للجريمة؟

ـ لن أجيب على سؤالك هذا الآن، واطلبي من" أوليفر" أن تبتعد عن اللعبة، وإلا فانك تعرفين جيدا ما أستطيع أفعله.

قطع الخط تاركا إياها في حالة من الهلع والصدمة، شعرت "نورسين" أن حياتها انقلبت رأسا على عقب، فضاعت في متاهة من الحيرة، ولم يكن

أمامها حل آنذاك سوى أن تركب دراجتها النارية بطريقة مجنونة، وهي تقودها بسرعة هائلة، دون أن تبالي بخطورة موقفها استمرت تقودها دون وجهة محددة، حتى وجدت نفسها تقف قرب منحدر يبعد بأمتار عن المدينة، وقفت في ذاك العلو الشاهق تنظر للأسفل، فراودتها فكرة أن تلقي نفسها من هناك، حتى تتخلص من هذا الألم الذي يأبى تركها، فقاطعها صوت قائل:

ـ الحياة نعمة الله عزيزتي، وأنت عليك أن تعتني بها جيدا.

التفتت إليه، فقالت بنبرة منكسرة:

ـ هذا أنت.

كان ذاك الرجل العجوز الذي التقت به في المطعم، وأطلقت عليه لقب "صاحب الفراسة"، نظر إلى عينيها وكأنه يبحث عن ما تبقى لها من أمل، كي يحييه فقال:

ـ عيناك أخبرتني بكل شيء، واختصرت الكلام يا بيتي.

صمت لوهلة، ثم قال بنبرة هادئة:

ـ تنفسي بهدوء، وأطلقي العنان لحزنك كي تتحرري منه، نحن لن ننسى آلامنا إلا إذا تصالحنا مع نفسنا، وحررناها من هذا الأسى، عندها فقط ستغادرك الأحزان.

قالت بنبرة يائسة:

ـ كيف يغادرني الحزن وهو المقيم بين شغاف قلبي؟

قال العجوز بهدوء:

ـ مقيم لأنك تحتجزينه، فهل يطير العصفور في القفص؟ افتحي قلبك كي يطير الحزن بعيدا عنه، افتحيه مثلما نفتح القفص للعصفور كي ينال حريته.

ـ وكيف السبيل لذلك يا سيدي؟

ـ أن ترضي بواقعك أن تتقبلي آلامك، فإن فعلت تصالحت مع نفسك، وإن تصالحت مع نفسك؛ وجدت الحل لكل مشاكلك.

ـ لكن أنا مذنبة، ولا بد للمذنب من عقاب، أترى تكون هذه لعنتي؟ أهذه عقوبتي؟ لعلي آثمة إني لآثمة يا سيدي، والآثم لن ينفذ من ذنبه فلكل خطيئة ثمن وهذا هو ثمني.

ـ هذه أفكارك السوداء التي صورت بها نفسك، لكن الحقيقة ليست كما ترين

ـ وما الحقيقة؟

ـ ما إثمك الذي يعذبك ؟

ـ إثمي هو غفلتي وكم غفلة تؤدي إلى الهاوية، وكم ثمن ندفعه يترك ندوبا في أعماقنا لن تشفى قط.

ابتسم وقال بنبرة هادئة:

ـ بلى تشفى

ـ لو أنقدت أختي لكن لا حل لفاجعتي سوى أن ألحق بها.

أمسك يدها بقوة وكاد يلقي بها في المنحدر فارتبكت وتسارعت نبضات قلبها رهبة ثم قالت هلعة:

ما الذي تفعله؟

وصرخت خائفة:

ـ هل أنت مجنون؟ توقف

رد قائلا:

ـ هيا أوقفي ساعة موتك الآن هيا افعلي هذا

أجابت:

ـ لا أحد يستطيع أن يوقف ساعة موته

أعادها لمكانها ثم أفلت يدها بهدوء وقال:

ـ أردت أن أعيد رغبة الحياة لروحك المتعبة.

أجابت مضجرة:

ـ لن تعود

ـ لكنك خفت وهذا دليل على الأمل الذي بداخلك، لكنه أمل مكسور

وصمت قليلا ثم أردف قائلا:

ـ لقد قلت للتو لا أحد يستطيع أن يغير ساعة موته، وهذا يعني أن الإنسان لا يملك أي حق في تغيير ساعة موته ولا ولادته، هذه أمور نحن لا نملك قوة السيطرة عليها، وأختك حانت ساعتها، فرحلت وكانت سترحل في نفس الزمن؛ لأنه هكذا قدر لها؛ لذلك أنت لست الملامة ولا المذنبة.

وقفت مشدوهة وحائرة، وكان قلبها ينبض بسرعة؛ فنطقت بعد أن اطمأنت قائلة:

ـ كلامك يريحني يا سيدي، ظهورك في حياتي ليس عبثا.

ثم قالت تكلم نفسها:

من أنت أيها الحكيم؟ ، أتراك الأمل المفقود في حياتي؟

ثم تنهدت وهي تردد:

ـ كن من شئت ولكن لا تغادرني أبدا

رد مبتسما:

ـ أنا هنا لأدلك إلى الطريق يا صغيرة.

تساءلت كَمَنْ يبحث عن أمل ضائع:

ـ هل أحيا من جديد؟ أأشعر مجددا أنني على قيد الحياة؟

ـ لقد خفت للتو حين شعرت بالخطر على حياتك، وهذا دليل أن رغبة الحياة، لا زالت تقيم في قلبك.

وأمسك يديها، ثم قال بنبرة حنونة:

ـ لا تقتلي الأمل في كيانك، إني أعلم أن ألم الفقد عسير، لكن العيش دون أمل هو الجريمة الكبرى في حق نفسك، فكفي يا ابنتي عن هذه الأفكار التي تجلد روحك وقلبك، أنظري للحياة بالعين الأجمل، تحرري تأملي، فهناك حياة بأكملها تنتظرك فكري في هدفك وقاتلي لحلمك، أعيدي البريق الأول الذي رأيته في عينيك، أعيدي النور وحطمي أغلال ظلامك.

نكست رأسها، وقالت:

ـ ولكنني انطفأت كيف يضيء الشمع وقد ذاب احتراقا.

رد بحكمة:

ـ العنقاء تموت احتراقا؛ لتنبعث من رمادها الأخير، فعنادها هو من جعلها أسطورة، وألمك أيضا سيجعل منك أسطورة، عليك أن لا تختاري الاستسلام أبدا، فلتكن الهزيمة آخر حلولك، قاتلي وحلقي كالعنقاء بجناحيك القويتين.

ـ وهل يحلق الطائر وجناحيه مكسورة يا سيدي؟

ـ وهل يموت المرء من أول صفعة يا ابنتي؟

صمت يتأملها ثم أردف قائلا:

ـ فكري مليا وستجدين لكل شيء ثمن، فالشمس تحترق لتضيء الكون، والبحر يبكي بأمواجه ولا أحد يبالي لصوته الحزين، بل الكل يشكي له همومه، فهل شكا البحر همه لأحد؟ كل ما في هذا الكون له ثمن وقاعدة وقانون وسر يا بنيتي، ويبقى الأساس أن تتقني قواعد الحياة.

ـ الحياة تمشي عكس التيار، لم علينا أن نعيش الألم والحزن واليأس، لم كل هذا التعب؟ للحياة قواعد ظالمة حقا.

ـ لولا الظلم أكنا نعرف العدالة؟، لولا الجفاف أندرك نعمة المطر؟، لولا الفقد أنعلم قيمة من نحب؟، لولا الظلام أنعرف النور؟، كل ما تفتقدينه يعلمك قيمة الأشياء من حولك؛ فبصراع الأضداد نذرك قيمة الأشياء من حولنا ونتعلم الحفاظ عليها.

شعرت للحظة أن الحياة تمن عليها حين وضعت هذا الرجل الحكيم في طريقها، كان في كلامه شيئا يعيد الروح، وتلك هي اللحظة التي عادت فيها نورسين لعهدها القديم، اللحظة التي قررت فيها أن تخلع عن روحها ثوب الحداد، وأن تنطلق في سبيلها دون أن تلتفت لحجم خسارتها، في تلك الدقيقة فقط ماتت "نورسين"، وولدت "نورسين"، من قال أن الإنسان يموت مرة واحدة فقط؟، ففي هذه الحياة هناك نوعين من الموت، الموت الأول والأكبر، هو الموت الذي تعرفه كل البشرية وهو انفصال الروح عن الجسد؛ لتبدأ رحلة البرزخ العظيم، والموت الثاني، هو موت الفكر حتى يولد محله فكر آخر، وفي هذا الموت نفقد شخصنا الماضي، وننسلخ عن شرنقة أفكار صنعناها لأنفسنا؛ وعقيدة أقنعنا بها عقلنا، لنبدأ الحياة مجددا، وفي هذا الموت نحن من يقرر أنبقى مدفونين في ركن خسارتنا نلعن حظنا، أم تتكرر ولادتنا بشخصية وأفكار وحياة جديدة، نكون فيها أقوياء، أقوياء فقط.

" سيمفونية الموت..."

بدأ الفصل الثاني من الموت بعزف سيمفونيته، والدقائق تتراقص عليها، والزمن كان يستعد ليشل عقربه في لحظة صمت خانق، أمام صياد ماهر، يتقن الإمساك بحنجرة فريسته؛ ليقطع آخر أنفاسها، ما زالت الحركات والنقلات لم تكتمل بعد، فهناك ضحية أخرى على وشك السقوط، والانصراف عن هذه الرقعة بات أمرا مستحيلا، كان على اللون الأسود أن يتحرك في رقعة الشطرنج بقوة، وعلى الأبيض أن يمنع انتصاره. لكن الأمر ليس بهين، بل هو أكثر صعوبة مما سبق ومرّ.

كان ذلك اليوم يصادف الحفل الموسيقي، لأم نورسين، "السيدة أوليفيا مارسيل". بعد مرور تسعة أشهر على وفاة ابنتها مايتي، حضرت "نورسين"، والمحققين "أوليفر" و"نيكولا"، العرض الموسيقي، كان الكل ملازما لمكانه، يشاهد العرض بتركيز، حتى وصل لـ "نورسين" ظرفا فتحته؛ لتجد فيه رسالة كتب عليها "انتظري العرض يا أرنبي الودود لقد بدأت ساعة الموت، خصمك عاد للمربع الأسود" وكان قد وقع رسالة باسم "اتش آي"

لاحظ "نيكولا" توتر" نورسين"، فاقترب منها وأخذ الرسالة من يدها، فقرأ ما كتب ثم قال:

ـ لقد عادت لعبة الشطرنج من جديد توقعت ذلك.

وناول الرسالة لـ "أوليفر" وتابع قوله:

ـ لقد بدأ العد يا محققة استعدي للمواجهة.

ردت أوليفر:

ـ إنها أول المرات التي يوقع فيها رسالته بهذين الحرفين، ولعل المعنى أن هذا مختصر اسمه الكامل.

ـ تماما أوليفر، لقد أوقف المطاردة طيلة هذه المدة ثم عاد ليستأنف لعبته.

ـ أظن أن عودته هذه خلفها الكثير من المفاجآت.

ـ دعيني أقول لك أن هذا ما يسمى بالهدوء قبل العاصفة

كان اختفاء هذا المارد طيلة هذه المدة، ليس إلا جزءا من لعبته فلا ريب أنه كان يخطط لنقلته التالية، ويدرك جيدا ما يفعله دون أن يخطئ في أي نقلة يقوم بها، عاد الارتباك يسكن كيان نورسين، التي لم تكن تدرك كيف ستتصرف في موقفها، فهي أمام قاتل يشبه النار التي قد تحرق كل شيء وفي أي لحظة، ويشبه الرياح التي لا يمكنك أن تراها ولا حتى أن تمسك بها، ولكنها قد تتحول فجأة إلى عاصفة تهدم كل ما حولك. لكن أوليفر كانت تقف له بالمرصاد وبدعم من جيڤارا ونيكولا وباقي عناصر الشرطة استطاعوا جميعا أن يحققوا الحماية وأحاطوا المكان من كل جانب، شعرت "نورسين" ببعض الاطمئنان، وحاولت أن لا تفسد حفل والدتها فأخفت توترها، وكانت تطمئن كلما نظرت إلى المحققة أوليفر لأنها تعي جيدا أنها لن تتوانى في حمايتها، ظلت في حيرة وتوتر تحاول أن تخرس صوت الأفكار التي تتجادل في خلدها، وبعد بضع دقائق وصلتها رسالة من رقم مجهول، كتب فيها استمعي لسيمفونية الموت، فهناك شفرة عليك حلها، هل تستطيعين ذلك يا أرنبي الودود، هناك حياة ستنتهي بانتهاء المعزوفة، لقد بدأ العرض، لعبتنا لا زالت مستمرة..."

ذعرت نورسين ثم ركضت نحو المحققة أوليفر، فناولتها الهاتف، وهي ترتعش خوفا، قرأتها أوليفر واستغربت قائلة:

ـ كيف يمكنه أن ينفذ ما يقول والمكان محاط بالحماية؟

وتابعت كلامها بثقة:

ـ لا يمكن أن ينفذ ما يقول، أظنه مجرد تمويه لتشتيت انتباهنا.

رد نيكولا:

ـ هذا ما أظنه أيضا لكن علينا أن نتخذ الاحتياطات

بدأ فريق أوليفر يحاول فك شفرة الرسالة، التي أرسلها "اتش آي" كما يسمي نفسه، وما سرها الذي يلمح له وبعد بضع دقائق، ركزوا مع السيمفونية التي كانت تعزفها السيدة أوليفيا؛ ليفهموا في النهاية، وفي نفس اللحظة، أن اللغز يعني أن هناك شيئا ما في الكمان، الذي تعزف عليه أم نورسين، ركضت المحققة أوليفر التي عرفت سر الشفرة؛ لإيقافها عن العزف، لكن السيدة أوليفيا كانت قد فقدت وعيها قبل أن تصل إليها، فمنعت أوليفر فرقة الموسيقى من لمس الكمان، وكان شكها في محله حين كشفت أنه مسموم، وأن من يلمسه بعد مدة سيبدأ السم يسري في عروقه، وهكذا سيتوقف نبضه. تدخل الإسعاف لينقد السيدة أوليفيا من موت محقق، ومنع الجميع من لمس الكمان حتى يعرض على الطبيب، ويفسر سر ذلك. لم تصدق نورسين ما تراه أمامها، فالدقائق باتت معدودة وتقترب من نهايتها، وها هي الآن ستخسر كل عائلتها تباعا، ضاعت للحظة صمت في دوامة من الصدمة والحيرة والذهول، وابتعدت عن جميع من حولها، فلم تعد تسمع شيء سوى نبضات قلبها الوجل تتزايد في الخفقان، ولكنها تمردت حين تذكرت أن الاستســـلام يجب أن يكون آخر ما تفكر فيه، وأن عليها فقط الصمود، وبعد دقائق قليلة، وصلت رسالة من رقم مجهول لـنورسين عبر الهاتف، كتب فيها "نورسين ما رأيك بهذا العرض المسرحي المثير؟ ليس لديك الكثير من الوقت، إن أردت أن تنقدي حياة والدتك تعالي إلى البناية المهجورة، لكنني أحذرك من تدخل الشرطة، لأنك أنت من سيخسر يا أرنبي الودود".

كان عليه في تلك الأثناء أن تذهب حيث أمرها، فتحركت دون أن تنتبه إليها الشرطة، وذهبت حيث أشار "اتش آي"، كانت هذه هي المرة الأولى التي

يطلب فيها لقاءها، كان الظلام حالكا، وليس بالبناية إلا ضوء خافتا، اقتربت منه ووقفت في وسط البناية، ثم صرخت متسائلة:

ـ هل من أحد هنا؟

التقطت أذنيها صوت تصفيق، وكان مصدر الصوت قادما عن يمينها قائلا:

ـ أحسنت يا أرنبي الودود.

وظهر أمامها بثياب سوداء وقناع أسود يخفي ملامحه، فقال:

ـ حظك الشؤم صار أمامك يا نورسين.

وفتح ذراعيه كالصقر ثم قال بتفاخر:

ـ أنا هنا.

ردت بغضب عارم:

ـ كف عن سخافاتك هذه، أخبرني عن ما فعلته بوالدتي، ليس لدي وقت لأضيعه معك.

ضحك مستهزئا:

ـ العجلة قد تدمر أحلام المستقبل، لا تتسرعي فكل شيء في أوانه يكون ممتعا.

صمت ثم أخرج من جيبه قنينة زرقاء بين يديه، وقال بلهجة الواثق:

ـ "اتش آي" وحده الآن من يملك الزمن، أتعلمين ما هذا الذي بيدي؟

ردت:

ـ لا أفهمك

ابتسم فقال:

ـ حياة أمك الآن بين يدي، ستنقدها قطرة واحدة من هذا المصل، هذا هو مضاد السم الذي سممت به أمك، لقد وضعت السم في الكمان، وهكذا انتقل السم إلى دمها عبر النفاذ من الجلد.

ذهلت متسائلة:

ـ سم؟ هذا يعني أنك قد سممت أمي لهذا فقدت وعيها.

ـ بالضبط لقد جعلتها تعزف سيمفونية الموت بنفسها.

صمت ثم قال مستفزا:

ـ ما رأيك بعرضي الرائع؟

وصفق مفتخرا:

أووه هذه نقلة ذكية حقا من "اتش آي".

ردت بنبرة الحاقد:

ـ اللعنة، أنت حقا حقير أنت كتلة مرض.

رد بسخرية:

ـ الغضب لا يليق بك عزيزتي.

ـ لا يعقل أن تكون إنسانا، أنت مجرد آلة مجنونة صنعت للقتل

نظر إليها باستهزاء، ثم أردف قائلا بتكاسل:

ـ لا يهمني رأيك.

وأشعل غليونه ينفث فيه شيئا من روحة الخبيثة، ثم قال:

ـ أنا أنفذ خططي بذكاء، أخبري "أوليفر" أن لا تحشر أنفها في لعبتي، هذا إن كنت لا تريدين المزيد من الضحايا، أنت الآن من تملك فرصة حمايتهم، وأيضا أنت من قد يتسبب في مقتلهم.

ـ لا أعرف كيف يمكن لإنسان عاقل أن يجعل من لعبة نتسلى بها، أداة مخيفة بل وسيلة ينفث سمه عبرها، وسلاح يحصد به المزيد من الضحايا، ألا تعلم أنك الآن قد صرت في نظر القانون قاتلا متسلسلا؟؟...

رد ببرودة الجليد:

ـ لا يهم أنا لا أبالي.

قالت بحسرة وأسف وهي تمسح دموعها المنهمرة على خديها المحمرتين من توترها:

ـ أنت لست إنسانا.

قال:

ـ كنت كذلك يوما.

ـ ولم صرت وحشا؟

ـ هذا سؤال لم يحن وقته بعد، لكنه القدر.

ـ نحن من نختار شخصنا، الذي سنكون عليه.

ـ لكننا لا نختار مصيرنا.

ـ أنت أردت أن تكون هكذا

ـ بلى الحياة كانت قاسية لتجعلني هكذا.

تساءلت في دهشة:

ـ كيف؟

أجاب بتجاهل:

ـ الوقت يمر أمك لا تملك إلا ساعة واحدة، لتنقديها، لا تفكروا في أخذها إلى المستشفى، فإنها تبعد عن المكان بأربع ساعات مسافة، وهي لا تملك إلا ساعة للنجاة من تأثير السم، لا أحد يستطيع انقادها غيرك يا نورسين.

واقترب منها ثم همس في أذنيها:

ـ إذا أردت انقادها يا عزيزتي، فلدي شرط مقابل حياتها.

انهارت فلم تعد قدماها قادرة على حملها فخارت قواها، وتعبت روحها بعد أن أظنتها الحياة وجعا، فجثث على قدميها في انكسار والدمع يتدفق من عينيها كشلال متمرد، ثم قالت بنبرة المتوسل:

ـ كف عن هذا يا "اتش آي"، رجاء لم أعد أحتمل.

لم يبالي بها وكَمَنْ لا قلب له، نظر إلى ساعته، ثم قال بتجاهل:

ـ الآن أنت تملكين ساعتين فقط، وفرصة واحدة.

ثم نظر إلى ساعته وأردف قائلا:

ـ رقعة هذا الشطرنج لا تمنحك إلا نقلة واحدة، لتتحركي داخل مربعات الموت والآن بدأ العد يا أرنبي الودود.

جثث على قدميها تتوسل باكية قائلة:

ـ خذ حياتي مقابل ذلك، أرجوك لا تؤذي أحدا فأنت تلاحقني أنا، أنا هدفك يا "اتش آي".

رفع رأسه قائلا:

ـ حينها لن أتسلى، فأنا قط يحب تعذيب فأره قبل أن يلتهمه.

رمقته بنظرة تصور شتات كيانها المكسور كشظايا البلور، ثم ضمت يديها ترجيا فقالت:

ـ أتوسل إليك، أعطيني المصل كي أنقد أمي.

حمل المصل بين يديه ثم قال:

ـ ها هو لكن عليك أن تنفذي طلبي.

قالت متلهفة:

ـ أخبرني وسأفعل كل ما تطلبه لكن ابتعد عن أمي.

أمسك بيديها وساعدها على الوقوف ثم قال ببرود:

ـ طلبي هو أن تقتلي أوليفر.

ذهلت لما تسمعه فقالت:

ـ ماذا؟ هل جننت يا هذا؟

ـ أوليفر مقابل حياة أمك.

وأمسك بقنينة المصل ثم تابع قوله مستفزا:

ـ أو ألقي به وبعدها ودعي "ماما" يا نورسين.

ارتعبت وفقدت قوتها فقالت بتوتر:

ـ أنا موافقة ماذا سأفعل؟

ضحك ثم أخرج من جيب سترته قنينة صغيرة، فناولها إياها وأردف قائلا:

ـ سممي به أوليفر هذه مهمتك.

وأمسك بخذيها قائلا:

ـ الدرس مفهوم يا أرنبي الودود لذا لن أعيد شرحه

تاهت تفكر لوهلة في انهيار، ثم استجمعت قوتها مجددا وقالت:

ـ سأفعل هذا.

ـ هكذا أريدك مطيعة .

ـ حسنا ما هي خطتك لقتل "أوليفر" ؟

ـ جدي قطعة من ثياب أوليفر وسمميها، اتبعي الخطة كما أمليها عليك ونفذي المهمة دون أخطاء، ثم انصرفي.

ـ هل تظن أن نيكولا وجيڤارا غبيان، سيكشفان أمري وسينتهي بي الأمر في السجن أنا لست قاتلة محترفة مثلك.

ـ هذه نقلتك لذا كوني ذكية إذا أردت الفوز جدي لك منفذا وأنهي المهمة.

ـ والدتي هل ستكون بخير؟

ـ بعد أن تقدمي لها هذا المصل سيبدأ جسمها في العودة إلى الحياة مجددا، سيحدث هذا بعد دقائق قليلة من أخذ المصل المضاد للسم، وحين تستعيد أمك حياتها على أوليفر أن تكون قد رحلت عن هذه الحياة.

شعرت أنها مقيدة بعنان لا تعرف كيف تتخلص منها، كيف يمكن لإنسان أن يضع رهانا كهذا، لم تكن تدرك لما هذا المهووس يلاحقها، ولا كيف السبيل للخلاص من أفكاره الشيطانية، لكن جل ما عرفته في تلك اللحظة أنها في رهان مع الزمن ومعاهدة هذا الرهان تنص على حياة أوليفر مقابل حياة والدتها، تمنت للحظة لو أنها استطاعت جعل حياتها هي الثمن، كي لا تحمل

ذنبا على عاتقها، أتراها تنفذ خطته أم أن القدر سيكون رحيما معها ويمن عليها بفرصة للنجاة؟...

"مفاوضات داخل رقعة الموت والحياة "

" بعد 45 دقيقة (نقلة الحياة والموت)"

كانت نورسين قد عادت إلى أمها وهي تحمل المصل، ودون أن تلفت انتباه أحد وضعت المصل في فم والدتها، بعد أن غفلت الشرطة عنها، ثم ابتعدت بسرعة وهي مترددة في تنفيذ ما أمرها به ذلك المارد، كانت يديها ترتجفان وقلبها يتسارع في النبض، جف رقها واصفر وجهها خوفا، شعرت بالذنب حتى قبل أن تنفذ ما طلب منها، لكنها كانت كمن هو بين نارين إذا تقدم احترق وإذا تأخر احترق فالنار حتما ستمسه مهما فعل وما أصعب المواقف التي تجبرنا على فعل أمور لم نكن نفكر فيها حتى في أسوأ كوابيسنا، لكنها الحياة ماهرة في لعبة المفاجآت...، حاولت نورسين أن تكون في تلك الساعة شخصا آخر وكانت مستعدة لتجاوز كل الحدود مقابل أن تنقد والدتها، كانت تفكر في طريقة لتسمم بها أوليفر، كانت تلتفت يمينا وشمالا للبحث عن غرض يخص أوليفر، فرمقت سترتها على الكرسي تسللت نحوها واستطاعت أخيرا أن تسممها، فهرولت بالرحيل عن المكان ولكنها فجأة اصطدمت بـ "نيكولا"، نظر إلى عينيها ورأى فيها الذعر والارتباك فسألها:

ـ أين كنت لقد اختفيت لمدة طويلة؟

ردت تتلعثم:

ـ أ...أن.. لقد ابتعدت عن هنا لأنني لم أحتمل رؤية أمي هكذا

قال يواسيها:

ـ لا تقلقي ستكون بخير، وستصل سيارة الإسعاف بعد عدة دقائق.

رأتهما أوليفر فاقتربت منهما أيضا ثم قالت:

ـ كنت أبحث عنك يا نورسين، لقد خفت أن تتأذي لكنني أراك بخير.

وحملت أوليفر سترتها فارتدتها، وهي تقول:

ـ سننقد والدتك لقد قدمنا لها بعض الإسعافات بتوجيه من الطبيب حتى تصل سيارة الإسعاف لا تقلقي نحن هنا

تحاشت نورسين النظر إلى وجه أوليفر، وكان الذنب ينهك قلبها وجعا، ثم انصرفت دون أن تتفوه بكلمة، وبعد أن مرت الدقائق المعدودة بدأت أعراض السم تظهر على أوليفر فسقطت مغشيا عليها، وفي المقابل كانت السيدة أوليفيا تستعيد وعيها، وكأن الحياة عبارة عن مسرحية من فصلين، فصل من موت، وآخر من حياة، كانت نورسين تندب حظها وهي لا تستطيع أن تتخلص من عذاب الضمير، فانصرفت عن المكان وهي تردد في نفسها:

ـ أنا آسفة يا أوليفر، كان علي أن أنفذ هذه الخطة مقابل حياة والدتي، حقا أنا آسفة ولكنني سأصلي لتحدث المعجزة ولتكوني بخير.

ثم اختفت نورسين عن الواجهة دون ترك أي أثر، ذهبت إلى بيت والدها الذي يبعد عن المدينة بثلاث ساعات وعدة كيلومترات، وبعد ساعات قليلة اتصل بها القاتل الغامض، ثم قال:

ـ رائع لقد كان عرضك مذهلا، يا أرنبي الودود.

لم تتفوه بكلمة بل ظلت تبكي في اختناق فأردف قائلا:

ـ الآن أنت بعيدة عن المدينة تماما كما طلبت منك، أنا أراقبك يا نورسين، أنت تبلين حسنا، خذي جهاز التحكم وشاهدي الأخبار.

صعقت بإحدى القنوات الإخبارية وهي تنقل خبر وفاة المحققة أوليفر، شعرت أن الزمن قد توقف، وتمنت لو انشقت الأرض وابتلعتها فصارت نسيا منسيا، فأي فاجعة هذه حلت بها ودون أن تتكلم صرخت حتى كادت تتمزق حبالها الصوتية فقالت منهارة:

ـ لا لقد أصبحت قاتلة اللعنة عليك يا "اتش آي"

وكان هذا المارد يرقص كالشيطان فوق رفاتها، ويتلذذ بألمها وهو يضحك سعيدا بما فعلته، ولم تجد أمامها حلا سوى أن تتقبل أنها في سبيل تقديم الحياة لأمها؛ تحولت لقاتلة في نظر القانون، لقد حولها "اتش آي" في لعبته الدنيئة، لشخص حتى هي لا تعرفه، لم تجد أمامها حلا سوى أن تتقبل واقعها، فقضت بعدها 72 ساعة بعد الواقعة، بعيدة عن كل شيء في منزلهم خارج المدينة، لم تعرف في هذه الساعات طعما للنوم والحياة، فزارتها في ذات صباح من أيامها التعيسة، السيدة أوليفيا والدتها، بعد أن تعافت، ذهلت نورسين من حضورها، ثم قالت متوترة:

ـ لقد أخبرتك أن لا تبحثي عني يا أمي، لم أتيت؟

وهرولت إلى الخارج وهي تلتفت يمينا وشمالا في هلع، ثم أوصدت الباب، فقالت:

ـ هل تعقبك أحد ما؟

ـ لا ولم سيتعقبني ومن سيتعقبني يا ابنتي؟

ـ هل زارك السيد نيكولا؟

ـ نعم أتى نيكولا وجيڤارا ليسألا عنك.

ـ كيف عرفت أنني هنا.

ـ ومن يعرف الطفل أكثر من أمه، هذا هو المكان الذي تأتين إليه كلما ضاقت بك الحياة.

ـ لم أتيت يا أماه لم ؟ ما كان عليك أن تأتي إلي.

ـ أتيت لأجلك يا بنيتي ليس من عادتك هذا الهروب ما الذي يقلقك؟

ـ أتيت كي أستريح من العالم الأسود الذي أصبحت محتجزة فيه، أنا أعيش الآن أسوأ أيامي في فترة كان يجب أن أحقق فيها أجمل أحلامي، ما عدت أعرف للحياة طعما.

وانهارت وهي تردد:

هذا الشعور مؤلم يا أمي، أتدركين؟

ردت أوليفيا بنبرة انكسار:

ـ أعرف أعرفه جيدا يا نورسين

واقتربت منها، ثم احتضنتها بحنان تواسيها قائلة:

ـ سنكون بخير، يا ابنتي هذه فترة وستمضي.

ـ متى تمضي يا أماه متى؟؟؟

ـ اصبري

ـ تعبت

ـ الحياة ليست كريمة، لتمنحنا الفرح، دون أن نخوض مرحلة تجاربنا الصعبة، هذه اختبارات الحياة لك لتصبحي أقوى.

ـ لا أريد أن أكون أقوى.

ـ لكن الحياة تريدك هكذا يا صغيرتي.

ـ لا أريد هذه الحياة، أريد حياتي الماضية، أريد أبي وأحلامي وأختي مايتي أريد لعبي طفولتي وأكلات أبي.

ـ ستمضي يا عزيزتي ستمضي...

استجمعت نورسين قوتها، ثم نأت عن والدتها فقالت:

ـ أمي عودي إلى المنزل الآن، دولسي ستكون بحاجتك أكثر مني.

ـ لا أريد تركك في هذه الحالة، دولسي مع "آن" بأمان سأبقى الليلة معك.

ـ لا يا أمي رجاء عودي

ـ لم أنت مصرة على البقاء هنا؟

ـ أمي لا تتصلي بي ولا تسألي عني رجاء، حتى أتصل بك

ـ ولم كل هذا؟

ـ هناك أمر لا أستطيع أن أخبرك عنه الآن.

ـ أنت متأثرة بما يحدث من حولك، حتى أوليفر التي كانت تساندك في قضية أختك ماتت.

توترت نورسين، وقالت وهي تحاول أن تخفي ارتباكها، بأسف:

ـ هي لا تستحق ذلك، لم يكن علي أن أقحمها في قضيتي.

ردت أوليفيا بتحسر:

ـ لذا لم أكن أريدها أن تحقق في القضية، لم أكن أريد المزيد من الضحايا.

قالت نورسين تتجنب كلام والدتها:

ـ أماه رجاء عودي الآن، أنا أحتاج للبقاء وحدي، وان سألتك الشرطة عني لا تخبري أحدا عن مكاني.

ثم عانقت والدتها قائلة:

ـ ثقي بي سأعود إليك أنت ودولسي، لكنني أحتاج بعض الوقت لأستطيع ذلك، انتظريني حتى أعود وحينها سأقص عليك كل ما يحدث الآن.

"وهكذا كان..."

بعيدا عن مدينة باريس بكيلومترات ...

كانت جميع القنوات والجرائد تتحدث عن نبأ وفاة أوليفر، دون معرفة الفاعل وأن الشرطة تبحث في هذه القضية من أجل حل خيوط الجريمة، جلست نورسين في ضياع تفكر في المأزق الذي وقعت فيه وكيف يمكن للحياة أن تفاجئك بما لا تتوقعه من أحداث، كانت الساعة آنذاك تشير إلى العاشرة ليلا، حين قررت أن تتنكر في لباس يخفي هويتها؛ حتى تستطيع أن تقتني بعض الأغراض، كانت تعلم في قرارة نفسها أن نيكولا وجيڤارا سيأخذان بثأر أوليفر وأنهما ذكيان كفاية لجعلها في بؤرة الشك، وانطلاق تحرياتهم في القضية؛ لذا عليها أن تكون أكثر حذرا، وكانت قد قررت بينها وبين نفسها أنها ستكفر عن إثمها، وستدفع ثمن الخطيئة حتما، حين تنقد عائلتها من براثن الموت، ستعمد إلى تسليم نفسها للشرطة، إذا منَّ عليها القدر بفرصة للنجاة، خرجت آنذاك وكانت كَمَنْ لا روح فيه لا تعرف للحياة طعما وتمنت لو أنها في زمرة الأموات، لو أنها تتخلص من هذا الكابوس الأسود؛ الذي بات يطاردها أينما حلت، ذهبت إلى أحد المحلات وكانت تقتني ما يلزمها، ودون أن تنتبه اصطدمت بالمحقق نيكولا هناك، فقدت قدرة الكلام كأصم لا يعرف النطق بحرف، وكادت الصدمة تودي عقلها للحظة، ثم دون أن تتفوه بكلمة، فرت منه فرار المتهم من جريمته، وكان نيكولا الذي تعرف عليها بعد سقوط نظارتها التنكرية يردد وهو يلحق بها:

ـ نورسين توقفي لا تذهبي

ودون أن تأبه كانت تركض بلا توقف، فركبت دراجتها النارية بجنون وتهور، وهي تقاوم هلعها ويديها المرتعشتان، فانطلقت دون وجهة، وهو يلحقها بدراجته أيضا، حتى وجدت نفسها محاصرة فمنع تقدمها وجود منحدر في الواجهة، توقفت وهي تلتفت تارة خلفها وتارة أمامها بحيرة ووجل، فسقطت على الأرض في استسلام وهي تردد:

ـ أرجوك دعني، دعني أنقد عائلتي وسأسلم نفسي للعدالة، فأنا في لعبة لا تعرف الرحمة ولا تقبل المفاوضات، لقد حاولت ترك رسالة لك؛ كي تنقد أوليفر ولكنك لم تعثر عليها لذلك ماتت رجاء دعني يا سيد نيكولا.

انحنى نحوها وجثا على قدميه، ثم ضمها إليه يواسيها فقال:

ـ اهدئي

ـ أنا مجرمة أنا مذنبة آثمة.

ـ لقد عثرت على الرسالة أنا أعرف لم فعلت ذلك.

حل كلامه هذا على قلبها كمسكن لوجع مرت عليه ألف سنة من التحمل، شعرت أن هذه إحدى المرات التي قدمت فيها الحياة هدية لها على طبق من خزف، فابتسمت وهي لا تصدق ما تسمعه، ثم قالت متلهفة:

ـ إذن أنت تعلم أنني كنت مجبرة.

ثم نكست رأسها خجلا، حين تذكرت موت أوليفر، وقالت بنبرة المتحسر:

ـ لكن أوليفر دفعت الثمن في جميع الأحوال، أنا متهمة ولو كنت في نظر العالم مجبرة.

ابتسم نيكولا قائلا:

ـ بلى أنت لا تعرفين إلا الجزء الأول من الحكاية، لكنك لا تعرفين النهاية.

لم تفهم ما يومئ إليه؛ فقالت في تعجب:

ـ ما الذي تقصده؟ أنا لا أفهمك...

أجاب:

ـ أوليفر حية يا نورسين، إنها على قيد الحياة.

لم تصدق ما تسمعه وظنت لوهلة أنها في دوامة أضغاث أحلام ليس إلا، ثم قالت متلهفة:

ـ حقا يا سيدي، أوليفر نجت

أومئ برأسه قائلا:

ـ نعم

ثم تابع قوله مسترجعا شريط ذكرياته، ومتخيلا أحداث الواقعة:

ـ "سيد نيكولا" أنا أعلم أن ما قمت به ذنب لا يغتفر، لكنني مجبرة على كل ما فعلت، لقد سممت المحققة أوليفر؛ لكي أنقد أمي، ربما هذه أنانية مني وربما أنا فتاة طائشة لكنني كنت كأسير مكبل اليدين، لم أكن أعرف حينها كيف أتصرف، لكن هكذا كان... لقد أجبرني "اتش آي" على تسميم أوليفر، ولم أجد حلا أستطيع أن أنقد به المحققة، غير ترك هذا الظرف الذي في داخله رسالة تبرر فعلتي، لا تفكر في أخذ أوليفر إلى المستشفى لأنها تبعد عن المكان بساعتين، وهذا السم يقتل الإنسان في ظرف ساعة فقط، هذا السم هو نفسه الذي سمم به "اتش آي" والدتي، وأنا أصلي لله كي تعثر على هذا الظرف، هذه الرسالة التي كتبتها لك، ستجد معها المصل المضاد للسم، أنا آسفة هذا جل ما أستطيع أن أساعدكم به، وكم أتمنى أن تعثر على هذه الرسالة وتنقذ أوليفر من الموت، ومعها تنقدني أنا من الإثم، لا تبحثوا عني لأنني سأغادر المدينة، اعتني بأمي وأختي دولسي..."

ووقعت الرسالة بالمعتذرة عن ذنبها نورسين." هكذا كانت رسالتك.

لم تصدق ما تسمعه فكان الفرح يملأ عينيها وارتاحت روحها أخيرا من الشعور بالذنب؛ فقالت:

ـ الحمد لله، أنك قد تمكنت من العثور على رسالتي والمصل.

ثم سألت:

ـ لكن لم جميع القنوات تتحدث عن موتها؟

ابتسم قائلا:

ـ نحن أيضا نتقن لعب الشطرنج، هذه نقلة من الشرطة مقابل نقلة "اتش آي".

ـ كيف فعلتم ذلك ؟

ـ حين عثرت على رسالتك في ذلك اليوم، أسرعت لتطعيم نورسين بالمصل، واستطعت انقادها في اللحظة المناسبة، ولكي نقنع القاتل بأنك نفذت مهمتك بنجاح؛ أذعنا خبر موت أوليفر في جميع القنوات، كي نضمن سلامتك وسلامة عائلتك، ولنحمي الجميع من هجوم القاتل، أوليفر الآن لا تخرج إلا متنكرة عن هويتها الأصلية، لذا لا أحد سيعثر عليها كوني مطمئنة.

قالت بعد أن تنفست شيء من الأمل:

ـ الآن أستطيع أن أتنفس بسلام، أنا ممتنة لك سيد نيكولا.

ساعدها على النهوض واعتدلت واقفة فقالت:

ـ هل يمكنني أن أرى أوليفر يا سيدي؟

أجاب:

ـ لا ليس الآن يا نورسين ربما يتعقبك "اتش آي" ويعرف بسرنا.

ـ حسنا سيدي اتفقنا.

ـ لا تقلقي بعد ثلاثة أيام سأرتب لك لقاء مع أوليفر وجيڤارا، لكن جدي مخرجا لك كي تفري من مراقبة "اتش آي".

فكرت مليا ثم قالت:

ـ لا تقلق سأجد مخرجا.

" النقلة المباغتة"

"منزل العميد جيڤارا، خطة نحو الهدف"

بعد ثلاثة أيام أرسل "نيكولا" رسالة إلى نورسين، وطلب منها أن تلتقي به في منزل جيڤارا، دون أن تلفت انتباه اتش آي، نفذت نورسين طلب نيكولا على الفور وجهزت نفسها، فاستطاعت أن تخرج من المنزل متنكرة، وبطريقة لم تلفت فيها انتباه أحد، والذهاب إلى منزل "جيڤارا" حيث اجتمع فريق المحققين هناك، لم تصدق عيناها حين التقت بأوليفر فقالت:

ـ هذه إحدى اللحظات النادرة التي عشتها في حياتي.

ضمت نورسين يديها ترجيا ثم قالت منكسة رأسها خجلا:

ـ تقبلي اعتذاري

ابتسمت أوليفر قائلة:

ـ لقد كفرت عن ذنبك، حين قدمت لي سبيلا للنجاة، وأنا أعلم أنك كنت مجبرة لذا سامحتك.

ـ لا أعرف ما سأقوله لك أنا حقا آسفة.

ـ لا عليك دعينا ننسى، لدينا قضية أهم من كل ما مضى.

تساءل نيكولا:

ـ هل كنت حذرة في مجيئك إلى هنا يا نورسين؟

أجابت:

ـ بالطبع سيدي.

ـ كيف خرجت من المنزل دون أن تلفتي انتباهه؟

ـ هناك باب خلفي للمنزل الذي أقيم فيه حاليا، لقد ساعدني في الخروج من منطقة أخرى ولا أحد يعرف هذا الباب غيري.

قالت أوليفر:

ـ هل أنت مستعدة لنبدأ الآن يا نورسين؟

ـ مستعدة، وسأفعل كل ما بوسعي للإيقاع بذلك الماكر الوقح.

وأردف جيڤارا قائلا:

ـ نحن في مرحلة المواجهة، ونقترب من حل خيوط الجريمة، وربح القضية ضد القاتل.

قال نيكولا:

ـ أوليفر حان دورك لوضع الخطة، وأنا جاهز للتنفيذ.

وقال جيڤارا:

ـ سنحاول أن نراقب شبكة الاتصال وخط نورسين كي نستمع لمحادثة القاتل، ربما ننجح هذه المرة.

جلست أوليفر على الأريكة وهي تقول:

ـ نورسين جهزي نفسك، سنحتاجك في هذه المهمة بالذات ستكونين ورقتنا الرابحة ضد اتش آي.

ردت نورسين بثقة:

ـ أنا جاهزة لأوقع بالنذل الحقير.

وأردفت أوليفر قائلة:

ـ ولكن عليك أن تنفذي كل ما اطلبه منك.

ـ سأفعل يا محققة.

قامت أوليفر من مكانها، ثم قالت:

ـ ربما يفاجئنا بجريمة أخرى فهو الآن قاتل متسلسل.

قال نيكولا:

ـ إن لم نتصرف حالا، سيزداد الوضع تعقيدا

ـ لا تقلق أنا أعرف الآن الخطة التي سأتصدى له بها.

قالت نورسين بنبرة الأسى:

ـ لا تنسي أنه مجرم خطير وحاذق، رجاء اهتمي بنفسك.

ردت أوليفر واثقة:

ـ علي أن أعترف أنه ذكي للغاية، وجريء بما فيه كفاية، حتى يرسل تهديدا قبل أن ينفذ جرائمه، لكنني لست ضعيفة وهذه ليست قضيتي الأولى، أنا أعرف عملي جيدا.

ـ أرجو أن تنتصري عليه، أرجو ذلك حقا.

ـ نورسين عليك أن تحاولي معرفة السر، الذي تخفيه أمك، هذا هو الجزء الضائع لفك الشفرة.

ـ لا أظن أن أمي تخفي سرا، لا زلت لا أعرف لم أنت مصرة على رأيك، أي سر قد يكون هذا يا محققة؟

ـ لا أدري يا نورسين، قد يكون سرا من الماضي، فكم من ماض لا يموت، ربما أمك تعرف من هو القاتل.

وقفت نورسين مصدومة، ثم قالت متعجبة:

ـ لا يعقل، لا يمكن لأمي أن تعرف قاتل ابنتها وتخفي هويته.

صمتت في ارتباك ثم تساءلت:

هل تعين ما تقولين؟

ـ نعم ففي النهاية أنا محققة وحركات والدتك تدفعني للشك، ولا يمكنني أن أخطئ بحكم مهنتي هذه، أنا واثقة من قولي.

ـ لا أظن ربما هي خائفة من فقداننا وأن تتكرر نفس المأساة معها مجددا، فهي تعلم أن رجل الشطرنج يقوم بتهديدي.

ـ فكري مليا آنسة نورسين مارسيل، لم يهددك أنت بالضبط؟ لم لا يهدد أمك أو هدد أختك الضحية، أو "آن" صديقتك؟ لم أنت ؟

ـ هذا السؤال الذي لا أعرف جوابه محققة أولفير

ـ إذن علينا أن نبحث له عن جواب، والجواب تملكه أمك، هناك سر ترفض والدتك أن تبوح به للشرطة، وعليك أن تساعديني يا نورسين، أنت الأمل الوحيد لدينا، كي نكشف هذا الغموض، نحن لا نريد المزيد من الضحايا، وهو لن يتوقف عن جنونه.

شردت نورسين تفكر فيما تقوله أوليفر، فقالت:

ـ حسنا، أنا معك في كل خطوة.

ـ أنت نفذي ما أطلبه منك فقط، حاولي مراقبة حركات والدتك، لا بد أن تقوم بشيء ما إن كانت حقا تعرف من يكون القاتل، أو ربما تتلقى تهديدا منه، أي حركة أطلعيني بها كي أتصرف.

ـ إن كان هذا يسعد روح أختي المظلومة، وينقذ حياة أناس أبرياء، فسأنفذه ولو كلفني الأمر أن أصبح جاسوسة مقابل العدالة لأجل أختي.

أخرجت المحققة أوليفر كيسا صغيرا من جيبها، ثم قالت:

ـ هذا الكيس يحتوي على جهاز تصنت عن بعد. ضعيه في غرفة والدتك وفعليه بشكل جيد، ثم اتصلي بي بعد أن تنفذي مهمتك.

أخذته نورسين من يدها، ثم قالت:

ـ سأفعل ذلك آمل أن تصدقي أن والدتي لا دخل لها فيما تقولينه.

كانت المحققة أوليفر تحقق بذكاء، وتخطط للمهمة بدقة وتفان، وقد اتفقت وتحالفت مع نورسين؛ لكشف السر الذي تخفيه السيدة مارسيل، وكانت نورسين في تلك الأثناء قد عادت لمنزلها، وجلست في غرفتها وهي تحاور نفسها قائلة:

ـ أوليفر محققة ذكية، لا يمكن أن تتفوه بكلمة دون أن تفكر فيها مليا، لكن هل يمكن لأمي أن تخفي عني سرا؟

ثم أخرجت الكيس من حقيبتها وقالت:

ـ هذا الجهاز سيكشف الحقيقة حتما.

"ساعة البوح بالسر .... منزل مارسيل ..."

"الكشف عن الشفرة"

ـ أنا آسفة يا أمي علي أن أفعل هذا من أجل "مايتي" ومن أجل العدالة.

تسللت نورسين إلى غرفة والدتها، في تلك الأثناء لتنفذ المهمة التي كلفتها بها "أوليفر"، وضعت جهاز التصنت المتطور في لوحة كانت تعلقها والدتها في الغرفة، وكان الجهاز دقيق الحجم لا تبصره العين، وعادت أدراجها بعد أن أتمت عملها ثم اتصلت بأوليفر قائلة:

ـ لقد نفذت مهمتي والآن حان دورك.

ردت أوليفر بلهفة:

ـ أحسنت نورسين، الآن بدأ العد.

بدأت "أوليفر" تراقب حركات السيدة "أوليفيا مارسيل" آملة أن تعثر على دليل يوقف وابل أسئلتها اللامتناهية، وبعد بضع دقائق من تفعيل الجهاز دخلت أوليفيا إلى غرفتها ثم أغلقت الستار والباب بإحكام، فجلست على الكرسي وهي في قلق وحيرة دون أن تحرك ساكنا، وفجأة رن الهاتف فحملته ثم قالت متوترة:

ـ ما بك؟ توقف عن مطاردتي لقد نفذت جل ما طلبته مني

ثم صمتت تستمع إلى ما يقوله المتصل فأتمت قولها ضجرة:

ـ حسنا فهمت، سألتقي بك بعد ساعتين من الآن، في نفس المكان المعهود ورجاء لا تطلب مني أكثر مما طلبت، لقد تحملتك بما فيه كفاية.

ثم أغلقت الخط، وفي هذه اللحظة كانت أوليفر قد تأكدت أن شكها في محله فالسيدة مارسيل تخفي سرا، استعدت أوليفر حتى تتعقب حركة أوليفيا، وتتبعها إلى المكان الذي تنوي الذهاب إليه، فتنكرت في لباس عادي كي

تخفي انتماءها للشرطة، وكانت قد ارتدت سترة سوداء ونظارات، وقبعة تكاد تخفي ملامح وجهها، ثم ركبت دراجتها النارية ووقفت بالقرب من منزل مارسيل، تنتظر خروج أوليفيا وبعد لحظات قليلة خرجت السيدة أوليفيا وهي تلتفت يمينا وشمالا وكانت أيضا متنكرة تواري هيئتها المألوفة، ركبت سيارتها وانصرفت، دون أن تدرك أنها تحت مراقبة أوليفر، حتى وصلت إلى المكان المطلوب، كان المكان هو الغابة التي تبتعد عن المدينة بكيلومترات عديدة، ترجلت من سيارتها، ثم التقت برجل يرتدي ثيابا سوداء، ويبدو قوي البـــنية، واثق الخـطوات، يضــع على وجهه قنــاعا أسودا كسواد الليل، لا يظهر من جسمه إلا يديه اللتان كان يغطيهما بقفازتين، لهما شكل مربعات الشطرنج، تأكدت أوليفر التي كانت تراقبهما عن بعد أن هذا هو القاتل، و أن السيدة مارسيل تعرفه لا محالة، تسللت كما يتسلل الثعلب الماكر إلى وكره، ثم اختفت خلف صخرة بالقرب منهما، ودون أن تلفت انتباه أحد، استمعت إلى حديثهما:

قالت السيدة أوليفيا مارسيل، بنبرة متوترة:

ـ ما الذي تريده مني هذه المرة؟

رد بنبرة المستفز:

ـ تنفيذ جميع ما أطلبه منك،

وصمت للحظة ثم قال:

ـ ودون اعتراض، وإلا فإنك تعرفين ...

قالت تندب حظها الشؤم:

ـ قتلت ابنتي، ولم أفصح عن اسمك حتى، وعقدت معك صفقة أن لا أبحث في ملف الجريمة، لقد نفذت طلبك فماذا تريد؟

رفع رأسه إلى السماء وشهق ثم زفر فقال:

ـ أريد الفوز بالشطرنج، لعبتي لا زالت مستمرة

اقتربت أوليفيا منه، قائلة:

ـ أنت حقا لا تعرف إلى أي حد تستطيع أن تذهب الشرطة، إن تخلصت من أوليفر فهناك نيكولا وجيڤارا، وهذان لم يخسرا أي قضية، وحتما سيصلان للحقيقة.

ـ أنت فقط نفذي جميع أوامري وان لم تدفعي الثمن أنت، فحينها سأنهي هذه اللعبة وستكون ضحيتي التالية الرهينة التي أحتجزها لدي، وستكون نورسين آخر من سيسقط في رقعة شطرنجي هذا.

ارتعشت أوليفيا خوفا ثم قالت:

ـ لا تؤدي أحدا منهم، وأنا سأدفع الثمن لحمايتهم.

ضحك ثم قال:

ـ الآن انتهى الوقت، عودي إلى منزلك وحاولي انقاد عائلتك يا أوليفيا.

وأعاد ضحكته ساخرا حتى تردد صوتها في أرجاء المكان، بينما كانت أوليفيا مشدوهة لا تعرف ما ستفعله في ورطتها.

وبعد أن عادت أوليفيا إلى المنزل، فاجأتها نورسين وهي تقف أمامها وتنظر إليها بحسرة، فسألتها قائلة:

ـ نورسين ما الذي تفعلينه بغرفتي يا ابنتي؟

ـ أبحث عن الحقيقة يا أمي.

ـ أي حقيقة؟

ردت أوليفر التي كانت تختبئ خلف ستار النافذة:

ـ الحقيقة التي لا تريدين أن نعرفها.

صدمت السيدة "أوليفيا" فقالت مذهولة:

ـ أوليفر أنت حية؟

ثم ابتسمت تخفي توترها وأردفت قائلة:

ـ لا أصدق أنا مسرورة لأنك على قيد الحياة.

قالت نورسين بتوتر:

ـ أخبريني يا أمي لم لا تريدين أن تستمر الشرطة في التحقيق، وأنت تطالبين بغلق الملف بينما أنا أسعى لتحقيقه.

ردت السيدة مارسيل، تتحاشى النظر لعيني نورسين:

ـ لا أريد لماض مضى أن يخترق حاضرنا ومستقبلنا.

ـ ماض مضى يا أمي، هل مقتل أختي أصبح ماض؟ أعلم كم تحبينها لكن لما لا تحققين لها العدالة كي ترتاح روحها؟

اقتربت السيدة مارسيل، من نورسين وعانقتها قائلة:

ـ لقد خسرنا أختك ولن تعود، والآن كي لا أخسركما أنت ودولسي، علينا أن لا نتحدى هذا القاتل المهووس، هو لن يتوقف حتى يحقق غايته.

ـ ومن أخبرك أنه لن يتوقف يا أمي؟

وصمتت تتأمل وجه والدتها بحسرة ثم تابعت قائلة:

ـ أم أنك تعرفين قاتل الشطرنج؟

ارتعبت السيدة مارسيل وقالت:

ـ لا كيف أعرفه؟

ـ بل تعرفينه يا أمي وأنت تخفين سرا

ـ لا أخفي شيء يا نورسين، كفي عن حماقاتك

انتفضت أوليفر قائلة:

ـ لقد تعقبتك يا سيدة مارسيل، أنا الآن أعرف نصف الحقيقة.

ـ أي حقيقة ما الذي تهدين به؟

دنت أوليفر من السيدة مارسيل ثم قالت بنبرة حادة:

ـ لا مجال لتخفي سرك، لقد سمعت حديثك مع "اتش آي" أو لنقل قاتل الشطرنج.

أمسكت نورسين يد أمها فتوسلتها، قائلة:

ـ أرجوك أخبريني بالحقيقة، لم تتهربين ولم ترفضين التحقيق في القضية؟

قالت صارخة والدمع ينهمر من عينيها:

ـ قلت لك أنني لا أود خسارتكما أنت وأختك، يا نورسين لما لا تفهمين؟

ردت نورسين صارخة هي الأخرى:

ـ لا أريد أن أفهم إلا الحقيقية يا أمي، الحقيقة التي لا تريدين الكشف عنها.

لم تجد السيدة مارسيل منفذا من موقفها فجلست على الكرسي، في انكسار وهي باكية في انهيار، ناولتها المحققة "أوليفر" منديلا وكأس ماء ثم قالت:

ـ اهدئي سيدة مارسيل.

أخذت المنديل من يد أوليفر، ثم قالت:

ـ سأخبركم بالحقيقة لم أعد أحتمل أكثر من هذا.

ونظرت إلى نورسين فقالت:

ـ لم أكن أريد أن تعرفي ما سأقوله الآن، لكن الحياة تريد ذلك.

وأتمت:

ـ ابنتي نورسين لقد كان والدك أبا مثاليا في نظرك، لكنه لم يكن إنسانا صالحا مع الآخرين لقد أحب عائلته بجنون، وكان أنانيا بذلك، لذا نحن ندفع الثمن ثمن أخطاء والدك.

تساءلت نورسين في ذهول:

ـ كيف؟

ـ أشهر مطعم ناجح بباريس كان صاحبه يرفض أن يطعم فيه الفقراء، والدك كان مستبدا يا ابنتي، لقد كان هناك نادلا يعمل بمطعم والدك، وكان رجلا بسيطا وطيب القلب، حتى أتى الفصل الذي قلب كل أحداث الحكاية، لقد بدأ هذا النادل في التأخر قليلا عن العمل، وكان السبب هو رعايته

لابنته؛ التي كانت تصارع المرض في المستشفى، لم يقبل والدك هذا المبرر، فجل ما كان يهمه هو عمله.

قالت نورسين مندهشة:

ـ لا أصدق.

وتابعت السيدة "أوليفيا" قولها:

وفي ليلة لا أريد تذكرها حتى في أسوأ كوابيسي جاء هذا النادل البسيط، ليطلب من والدك مالا مسبقا بقيمة كبيرة على أن يعمل لشهور دون مقابل، حتى يرد ما اقترضه من والدك، من أجل عملية تحتاجها ابنته، رفض والدك ذلك وأهانه كمن لا قلب له دون رأفة، ولم يكتف بذلك سخر منه، لكن النادل ظل يتوسل والدك ويتوسل دون توقف.

لم تصدق نورسين ما تسمعه فقالت بانكسار:

ـ لا يمكن ما الذي تقولينه؟

هدأتها أوليفر قائلة:

ـ تحملي دعيها تكمل.

وأتمت أوليفيا قولها:

ـ لقد كان والدك غير مباليا بتوسله، وكان يلعب الشطرنج مع رفاقه ويضحك مستهزئا به، ولكي يمنحه المال طلب منه أن يلعب معه الشطرنج، لقد توسله النادل لأنه لا يملك وقتا فابنته تحتاج للعملية فورا وإلا ستموت، لكن والدك كان أنانيا وقاسيا يا ابنتي، وفي النهاية استسلم النادل لطلبه وهو يبكي حتى اتصلوا به وأخبروه أن ابنته قد ماتت.

قالت "أوليفر" بتمعن:

ـ وهذا النادل هو نفسه "اتش آي"

ذهلت ونورسين من هول القصة ثم قالت وهي تسقط على ركبتيها مصدومة:

ـ لا أصدق أن هذا أبي.

فقالت أوليفر:

ـ لذلك حاول "اتش آي" الانتقام، كنت أعلم أن الدافع وراء جرائمه هو الانتقام، والآن عرفت سر لعبة الشطرنج، فهو يعتبر الشطرنج سببا في وفاة ابنته؛ لذا اتخذه وسيلة للانتقام منك ومن عائلتك يا نورسين.

ردت السيدة مارسيل:

ـ نعم هو كذلك، ولكنه أخطأ بأذية أبنائي، فنحن في النهاية لا ذنب لنا.

سألت أوليفر:

ـ ولم كنت ترفضين إخبارنا بالحقيقة؟

ـ لأنه كان يهددني بقتل زوجي المحتجز لديه طيلة تسع سنوات.

قالت أوليفر:

ـ إذن السيد مارسيل المختفي فك لغزه أيضا، لقد اختفى بطريقة غريبة لأنه كان رهينة عند قاتل الشطرنج.

قالت نورسين غير مصدقة لما تسمعه:

ـ "اتش آي" يحتجز أبي؟

ـ نعم يا ابنتي والدك المختفي هو رهينة عند اتش آي، منذ تسع سنوات، ولكي يبقيه على قيد الحياة، كان علي أن لا أحقق في مقتل أختك.

قالت أوليفر:

ـ لقد هددك بزوجك كي لا تساعدي الشرطة في القبض عليه واستمر في الانتقام من عائلتك واحدا تلو الآخر.

ـ نعم يا حضرة المحققة.

قالت نورسيين تحاول استجماع قوتها:

ـ إذا كان "اتش آي" يود الانتقام من أبي لما احتجزه ولم يقتله طيلة هذه السنوات.

ردت "أوليفر":

ـ لا شك أنه تعمد ذلك كي يستمتع بتعذيب والدك

لم تكن نورسين تريد أن تتقبل إزاحة الستار عن هذه الحقائق التي شكلت ضربة قاضية لها، كانت تشعر أنها تنهار في كل مرة تصدمها الحياة بنقلاتها المفاجئة، كادت تفقد عقلها وهي تسترجع شريط ذكرياتها مع أبيها؛ الذي لطالما افتخرت به، ورأت أنه الإنسان المثالي الذي تقتدي به، ولكن كم هي الحياة مثيرة حين تتفنن في اختيار فجائعنا، وتجاوز سقف توقعاتنا...

النقلة السابعة:

(الحركة الأخيرة)

القاعدة السابعة: مهما طال ليل الحزن، لا بد لشمس الأمل أن تشرق محملة بآمالنا، ولا بد للحلم أن يصنع أجنحته محلقا في سماء نجاحاتنا

(المواجـــهة المنتـــظرة)

" انتصار طرف في الرقعة..."

مهما طال الزمن لا بد للحقيقة أن تصارع الباطل، وتعلن عن نفسها بقوة ومثلما لا يمكن للورد أن يخفي عطره، لا يمكن للحقيقة أن تخفي وجودها، وعلى الإنسان أن يقبل حقيقته مهما كانت صادمة، فهي أهون من ظلال السراب، وأرحم من جلدة الحيرة، كان "اتش آي" قد قام بنقلة أخرى في لعبته، حين اتصل بنورسين وهو يحمل لها مفاجأة جديدة فتحت نورسين الخط وقلبها يخفق هلعا ثم قالت:

ـ ماذا تريد ألم تكتفي بعد؟؟...

ضحك ثم قال:

ـ لا أحد يكتفي من متعته، وأنا متعتي في اللهو معك.

ـ ماذا هناك يا اتش آي؟

ـ مفاجأة

ـ أي نائبة ستحل علي، أفصح أيها الأحمق.

ـ لقد ترصدتك يا أرنبي الودود أنت تلعبين من خلفي.

ـ ما الذي تقصده؟

صاح غاضبا:

ـ لا تحسبي أنني مجنون، أنا أعرف كل خطواتك، والآن إذا أردت حياة "الشقراء دولسي" تعالي إلى منحدر الموت، أنت تعرفينه جيدا.

قالت بخوف:

ـ ماذا أختي دولسي لديك؟؟

وصاحت بغضب:

ـ اللعنة، أتركها دعها وشأنها، كيف تعبث بطفلة صغيرة، هل تجردت من إنسانيتك؟

وكعادته ضحك ساخرا دون التفوه بكلمة ثم قطع الخط، لم تعرف ما ستفعله فأرسلت العنوان إلى أوليفر حتى تتحرك هي وفريقها لمحاصرته، لعلهم يفلحون في القبض عليه، ثم انصرفت إلى المكان الذي طلب منها الحضور إليه، وبعد بضع دقائق سمعت صوت موسيقى مرعبة، التفتت خلفها فرأت رجلا مقنعا، رمقته بنظرة خاطفة ثم قالت:

ـ هذا أنت يا عديم القلب

أوقف الموسيقى ثم قال بتكاسل:

ـ نعم إنه أنا .

ثم دنا منها وقال ببرودة الجليد:

ـ مرحبا يا أرنبي الودود.

ـ كف عن حماقتك، أخبرني أين أختي؟

أخرج كرة صغيرة الحجم من سترته وبدأ يلهو بها قائلا:

ـ اللعبة ليست هينة، لتحصلي على أختك عليك دفع الثمن أولا.

ـ سألته:

ـ أين هي أختي؟

ـ قلت أختك.

وأشار إلى غرفة صغيرة، بالقرب من المنحدر فقال:

ـ الأميرة النائمة هناك.

حاولت أن تذهب إلى أختها فأوقفها قائلا:

ـ لا تتسرعي ادفعي الثمن أولا.

نظرت إليه بضجر ثم قالت:

ـ اتش آي رجاء، أنا أعرف أنك تنتقم لموت ابنتك، لأن أبي كان السبب في معاملته القاسية معك، لكن مايتي التي قتلتها وأمي التي عذبتها وأنا لا ذنب لنا، حتى هذه الطفلة البريئة التي اختطفتها لتوك لم تسلم من جنونك وهوسك.

اقترب منها بغضب ولف ذراعيه على جيدها قائلا بغضب وجنون:

ـ أنت وعائلتك لا ذنب لكم، لكن النار حين تشتعل تحرق كل شيء ولا تختار الحطب، وأنا نار مشتعلة.

ردت تحاول إبعاد يديه عن جيدها:

ـ رجاء توقف عن هوسك القاتل.

لم يأبه برجائها ثم سألها مستنكرا:

ـ أتعلمين ما هو أسوأ شعور في هذه الحياة؟

وأجاب عن سؤاله:

أن يتسلى أحدهم بحياة أحب الناس إلى قلبك، ويعبث بألمك بلعبة للتسلية، فماذا يحدث حين تتحول لعبة للتسلية إلى لعبة للموت، لا بل إلى وسيلة للجريمة أيضا؟

ـ لقد جعلتني أعيش ألما فظيعا يا "اتش آي" لن أسامحك مهما حييت.

ـ ألمك هذا هو نفسه ألمي الذي يطاردني لتسع سنوات.

قالت تحاول الفرار منه:

ـ هل هناك مفاوضة ننهي بها هذا الهوس الذي صار يسكنك؟

ـ لا أريد إلا أن أحرقكم جميعا، وأبيدكم من هذه الأرض.

ـ حتى لو كنا أبرياء يا "اتش آي"؟

ـ نعم

ـ لم دفنت قلبك لم صرت هكذا؟

ـ أنا الآن لا أذكر كيف كنت، جل ما أعرفه أن والدك جعلني قاتلا.

ـ أنت من اخترت سبيلك هذا، طريق الانتقام والمس بالأبرياء، يفقدك حقك حتى لو كنت مظلوما.

أحكم "اتش آي" قبضته على جيد نورسين حتى يقطع أنفاسها قائلا:

ـ والآن حان دورك كي أقول "كش ملك"

كاد ينهي حياة نورسين لكن "أوليفر" أطلقت رصاصتها المفاجئة على يده فتمكنت "نورسين" من النجاة.

فصاح "اتش آي ":

ـ اللعنة عليك أيتها المخادعة.

قالت أوليفر وهي تصوب المسدس في وجهه:

ـ استسلم يا "اتش آي" انتهت لعبتك.

أمسك يديه وهي تنزف دما ثم قال بنرجسية:

ـ لا أحد سيهزم "اتش آي" في لعبته

اقتربت منه أوليفر دون أن تبعد المسدس عن وجهه، وقالت:

ـ أنا آسفة خيبت أملك لا زلت حية.

وابتسمت تستفزه قائلة:

ـ لقد عدت من الموت لأجلك.

ضحك "اتش آي" قائلا:

ـ أوليفر أنت حقا بارعة

فقال نيكولا:

ـ الأصفاد جاهزة يا حضرة المحققة.

ودنا منه نيكولا ليكبل يديه بالأصفاد، لكن "اتش آي"، قام بحركة سريعة سابق فيها الزمن، فأخرج من جيبه حقنة، ودسها في كتف "نيكولا"، وشوش تركيز "أوليفر" فجذبها إليه ولف ذراعيه القويتين على جيدها بقوة، فأخذ منها المسدس وصوبه نحو رأسها.

فقال:

ـ ما رأيك في هذه الحركة يا "أوليفر"

ـ نهايتك اقتربت أيها المغرور

صرخ جيڤارا الذي وصل لتوه مع عناصر الشرطة وهو يصوب مسدسه نحو اتش آي قائلا:

ـ دعها وشأنها وإلا أفرغته في رأسك.

رد اتش آي:

ـ ابق مكانك وإلا قتلتها، أنت لا تعرف أساليبي في تنفيذ هدفي، هيا ضع مسدسك على الأرض فورا.

ونظر إلى جرحه الذي ينزف ثم أردف قائلا:

ـ لا يغرك جرحي هذا فقد احتملت جرحا أكبر منه.

قالت نورسين خائفة:

ـ أرجوك يا سيدي دعه فأنا اكتفيت من الضحايا في لعبة الموت هذه.

وأشارت إلى نيكولا ثم قالت:

ـ أنظر لقد حقن المحقق "نيكولا" أظنه سما.

التفت إليه جيڤارا، ثم قال:

ـ ما الذي فعلته به أيها الأحمق؟

رد عليه باستفزاز:

ـ لا تصدق هذه الحمقاء فهي تحب القصص الدرامية . لا تقلق سيستيقظ بعد عدة ساعات أنا لم أقتله، جعلته يفقد وعيه فقط.

ـ قالت أوليفر وهي تحاول أن تفك يديه:

ـ دعني وشأني لعبتك ستنتهي ولو على جثتي

رد واثقا:

ـ أنا لا أعرف الهزيمة.

ردت وهي تحاول التنفس بصعوبة:

ـ ستعرفها الآن يا اتش آي ستعرفها.

أحكم قبضته عليها ثم همس في أذنيها قائلا:

ـ ما كان عليك أن تقحمي نفسك في رقعتي يا أوليفر هذا الرهان بيني وبين عائلة مارسيل، لم تودين خوض هذه المغامرة ؟

حاولت الكلام فلم تستطع لأنه كان يخنقها، لكنه أرخى يديه عن جيدها قليلا ليسمع كلامها، فقالت وهي تتنفس بسرعة:

ـ هذا عملي وسأنفذه مهما كلفني الثمن

ابتسم ثم سألها:

ـ يا لك من مجنونة يا "أوليفر" لأجل من كل هذا الإصرار؟

ـ لأجل العدالة.

ضحك ساخرا وهو يردد:

ـ العدالة، العدالة

انفعل غاضبا ثم سألها:

ـ أي عدالة يا حضرة المحققة؟

ـ العدالة التي يسعى لها القانون، والتي هي أمل كل مظلوم.

كمن لا يفقه عن كلمة عدالة شيئا تساءل مستنكرا:

ـ قلت لتوك قانون وعدالة؟ ألم تسأل عدالتكم هذه عن مظلوم، جعلته الحياة ذئبا لا يرحم.

ـ أنت من اختار طريق الجريمة، لقد جنيت على نفسك يا اتش آي، وعليك أن تدفع الثمن، تقتل أرواحا بريئة لترضي غرورك، وتستمر في لعبتك الشيطانية دون تفكير عاقل أنت تحصد أرواحا بريئة لتحقيق ثأرك، وهذا ظلم لنفسك يا اتش آي، استسلم وأترك جنون لعبتك وهوسك.

ـ لقد أقحمت نفسك في متاهة موتك، وأنت تدركين جيدا أنني أكره المتطفلين، لا دور لك في لعبتنا أنا ونورسين عليك الرحيل عن رقعتي.

ـ لقد ولدت من رحم الظلم؛ لأكون محققة يا "اتش آي" ولأحقق العدالة لنفسي وللأبرياء، حتى أنا تعرضت للظلم ذات مرة، ولكنني جعلت العدالة والقانون هما هويتي وشغفي، هكذا اخترت سبيلي.

ـ وهل حققت العدالة لكل مظلوم لجأ لقانونكم الأعمى؟ ماذا لو كان هناك ماض لبريء حوله القدر لمجرم؟ هل حقق قانونكم العدالة لهؤلاء، قبل أن يسلكوا طريقهم المظلم؟

ـ ما علمت بظلم أحد وتركته دون أن أرد له حقه، لقد عاهدت نفسي بتحقيق العدالة وها أنا أفعل ذلك، الفرق بيني وبينك يا "اتش آي" أنني اخترت طريق الحق والعدالة؛ لذلك النصر سيكون لي، وأما أنت فنسيت حقك الحقيقي، وتلبسك شبح الانتقام، والانتقام يفقدك حقك ولو كنت مظلوما.

ضيق قبضته عليها، ثم قال غاضبا:

ـ انصرفي عن رقعتي، انصرفي عن شطرنجي يا أوليفر، فقد يستيقظ الوحش الذي بداخلي وأنا لا أريد مزيدا من الضحايا، أنا ذئب متعطش للدماء. ولا أدري متى تستفيق غريزتي المتوحشة؛ فألتهم القطيع كله.

سألته تستفزه:

ـ لمَ تختبئ وراء قناعك هذا؟ لما ترفض أن تظهر وجهك للعالم أتخجل أم تخاف؟، أنت تختبئ وراء قناعك لأن عقلك يعلم أنك تسير درب الخطيئة.

ـ "اتش آي" لا يعرف الخوف يا أوليفر، لكنني لا أريد أن أنظر بالخطأ إلى وجهي في المرآة فأتذكر شخصيتي في الماضي، لا أريد حقا أن يستيقظ ضميري النائم، وأتوقف عن لعبتي عن انتقامي.

حاولت أوليفر وهي تكلمه أن تنفذ من قبضته، وبحركة ذكية منها استطاعت الإفلات من قبضته فضربته على يديه المجروحة، ثم أسقطته أرضا، فانقضت عليه لتمنعه من الحركة، وأزاحت القناع عن وجهه ثم قالت:

ـ هذا وجهك الحقيقي إذن، لا تتحرك صرت رهن الاعتقال.

وفي لحظة غير متوقعة، سارعت نورسين لأخذ المسدس من يد جيڤارا وهي في حالة هستيرية من الحقد؛ ثم قالت:

ـ نهايتك الآن باتت على يدي سأفعلها لأريح العالم من أمثالك.

حاول جيڤارا منع نورسين قائلا:

ـ توقفي يا ابنتي، أنت لست مجرمة حتى تدنسي يديك بقتله، اتركيه لنا.

قالت بحقد:

ـ هذا الرجل يستطيع أن يتخطى جميع الحدود من أجل انتقامه، لقد تحول إلى آلة للقتل، وجرد نفسه من الإنسانية، هو لا يعرف إلا القتل يتحدث بالقتل، وينام على القتل، ويستيقظ على القتل؛ ليرضي هوسه، انه مريض وأحمق عليه أن يموت. يا سيدي.

ثم حاولت أن تضغط على الزناد لكنها تذكرت أنها لن تستطيع أن تتحول لمجرمة، وأنها تمضي في طريق الحق والقانون، فرمت السلاح من يديها، وهي تبكي منهارة، دون أن تتفوه بكلمة.

صفر "اتش آي"، وهو تحت قبضة أوليفر؛ ثم صاح قائلا:

ـ دولسي

فانفتح باب الغرفة التي تقع قرب المنحدر التفت الجميع إلى صوت الباب وهو ينفتح، ثم خرجت الطفلة الشقراء، التي لم تتجاوز عمر الثامنة، كانت خدودها قد اقتبست حمرة الكرز زينة لها وهي تركض مبتسمة نحوه، حتى توقفت أمام أوليفر ثم قالت ببراءة الأطفال:

ـ يا سيدة أتركي أبي رجاء.

هزت هذه الكلمة كيان نورسين وذهلت الجميع، ثم قالت نورسين غاضبة، وهي تنهر أختها:

ـ دولسي ما الذي تهدين به، هل جننت؟، هذا ليس والدك، هذا قاتل هل فهمت؟

لم تأبه الطفلة بكلام أختها، فأعادت طلبها قائلة:

ـ يا سيدة رجاء أتركي أبي،.

ولمست جرحه ثم قالت:

ـ إنه ينزف.

لم تصدق نورسين ما تراه فحاولت سحب أختها إليها لكن جيڤارا أمسك معصمها قائلا:

ـ توقفي .

ضحك اتش آي وهو يردد:

ـ أخبرتكم أن أساليبي لا حد لها.

ثم نظر إلى الطفلة بنظرة أب محب لابنته، وقال:

ـ دميتي الصغيرة دولسي، لا تنسي اللعبة التي علمك إياها والدك العزيز اتش آي.

قالت أوليفر:

ـ أي لعبة؟

رد:

ـ هذا سري أنا وطفلتي.

قالت نورسين :

ـ أنت مجنون حقا، هذه ليست ابنتك هل فهمت؟

ودون أن تزيح يديها عنه ساعدته على الوقوف، ورفعت الأصفاد في وجهه ثم قالت:

ـ انتهت اللعبة كش ملك.

ضحك يستفزها، ثم ضربها بعد أن شتت تركيزها، فأسقطها أرضا، وقد أفلت نفسه من قبضتها، فتقاتلا سويا، ثم استطاع أن ينزع المسدس منها فصوبه في وجهها قائلا:

ـ ارجعي إلى الخلف، لا تكوني آخر ضحاياي.

و نظر إلى نورسين فقال:

ـ لن أقتلك، هذه هديتي لابنتي دولسي، لأنها تحبك كثيرا، وأنا لا أريد أن أجرح مشاعرها.

وتراجع إلى الخلف حتى وقف عند حافة المنحدر ثم نظر إلى دولسي، فقال:

ـ لقد قضيت معك وقتا ممتعا أيتها الشقراء، لكنك الوحيدة التي استطاعت أن تنفذ لأعماق "اتش آي"، أنت بطلتي أنت فوزي يا دولسي.

وانهمرت من عينيه دمعتين، كانت هذه أول مرة يبكي فيها "اتش آي" بعد تسع سنوات، تجرد فيها من الإنسانية، والأحاسيس، ولا أحد كان يدرك ما

التأثير الذي استطاعت "دولسي" أن تقوم به، ليصبح "اتش آي" خاضعا لحبها، وكأنه حقا والدها، كان يتمعن ملامحها بحب كبير، وعاطفة جياشة، فقالت أوليفر:

ـ لا أدري ما الذي يحدث، لكن هذا الأمر مذهل حقا.

وجثا اتش آي على ركبتيه؛ ثم وضع أمامه المسدس؛ فصاح قائلا:

ـ تعالي إلي.

حاولت دولسي إيقاف أختها؛ فمنعتها أوليفر قائلة:

ـ هو لن يجرأ على أذيتها، لا أدري ما السبب؟ لكن هذا واضح، إنها أول المرات التي أرى فيها الصدق على ملامح مجرم في قضيتي.

ركضت الطفلة إليه ثم عانقته، وقبلت خديه فقالت:

- أبي.

قبل جبينها وبكى ثم قال:

ـ أعيدي هذه الكلمة مجددا قولي لي أبي.

فقالت ببراءة:

ـ أبي

كانت هذه الكلمة المفتاح الذي أعاد "إتش آي" الروح لقلبه الميت والقاسي، وكان مستعدا ليقدم حياته كلها من أجل كلمة "أبي"، التي تلفظ بها لسان هذه الطفلة، فضمها إليه بحنان أب لابنته، وهمس في أذنيها قائلا:

ـ عودي إلى أختك، ولا تنسيني أبدا.

أومأت الطفلة برأسها وهي تنظر إليه بابتسامة، أذابت جميع الأحزان في قلبه، فعاد ليقبل جبينها، وتركها تعود لأختها وهو يراقب خطواتها وهي

تبتعد عنه خطوة خطوة، ثم وقف بسرعة وقد حمل المسدس بين يديه، صوبت عناصر الشرطة المسدس نحوه تخوفا من أي هجوم، ثم صاح قائلا:

ـ نورسين لقد غيرت قواعد هذا الشطرنج وهذه نقلتي الأخيرة.

ونظر إلى دولسي بمحبة ثم صاح مجددا:

ـ دولسي لا تنسيني تذكريني دائما.

ونظر إلى نورسين، ثم قال مبتسما:

ـ كش ملك.

وفي لحظة غير متوقعة ألقى بنفسه في منحدر الموت، فسقط من علو شاهق تستحيل بعده الحياة، ركضت أوليفر تحاول الإمساك بيده حتى تنقذه، لكنها عجزت عن انقاده في آخر لحظة، اقتربت نورسين من مكان سقوطه وهي تتأمل جسده الذي غاب في الوادي، ثم التفتت لجيڤارا ونورسين، فقالت:

ـ كش ملك انتهت لعبتك يا "اتش آي"

وضمت أختها، ثم قالت:

ـ أنا سعيدة بعودتك، لقد انتهينا الآن من هوسه.

رد جيڤارا:

ـ انتهت لعبته، التي قتلته.

قالت أوليفر:

ـ لقد ظن نفسه منتصرا لوهلة، لكنه وضع حدا لنفسه بنفسه، لقد انتصر الحق والقانون يا سيدي انتهت قضيتنا.

قالت نورسين:

- وأخيرا انتهى.

بعد سنة من الزمن..

مرت سنة من الزمن غيرت مجرى الأحداث، وأخيرا استطاعت نورسين وعائلتها أن تعيش بأمان بعيدا عن لعبة "اتش آي"، وعادت المياه إلى مجاريها، معلنة عن بداية سنة وحياة جديدة، فلكل بداية نهاية، ولكل نهاية عبرة، ولكل عبرة فكر جديد ومسار آخر، كان الجميع قد بدأ حياته من جديد، فأوليفر ونيكولا وجيڤارا، عادوا لعملهم وبدأ التحقيق في قضية جديدة مع ملف آخر، وعادت نورسين لعملها؛ لتعتني بمطعم والدها بدعم من "آن" ووالدتها التي لم تتركها أبدا، وكانت قد سامحت والدها على ما سببه لها من صدمة وألم ووجع لها وللآخرين، بعد أن استطاعت الشرطة العثور عليه، التقت أخيرا بوالدها الذي لطالما سعت للقائه، لكنه لم يعد كما كان بل صار بعقل طفل وجسد رجل، بعدما تعرض لأيام من التعذيب من طرف "اتش آي"، كان قد فقد عقله جراء ذلك، قررت أن تتقبله وتعتني به لأنه في النهاية والدها، وهي لن تتخلى عنه أبدا، فهو قد نال عقابه على كل ما فعله، حين فقد عقله، هكذا كانت تمضي حياة هؤلاء الأشخاص الذين جمعتهم الحياة، داخل رقعة الشطرنج شطرنج الحياة، وفي منزل مارسيل الذي غادره الفرح لسنوات كانت هناك فرحة جديدة وعمر جديد في حفل عيد ميلاد دولسي، الطفلة التي بدأت رحلتها أو ربما قصتها، الطفلة التي كانت تخطو نحو مستقبل آخر، في وقت لم تكن الهدايا تتوقف عن الوصول إليها كانت قد تلقت هدية عيد الميلاد وقد كتب عليها "الابتسامة"، فركضت إليها وكأنها تعرف مرسلها ثم فتحتها، لتجد بداخلها مذكرة وقلم، وقد كتب في أول صفحة من المذكرة، **"انتظري قصتنا لتبدأ، سأعود لأقرأ يومياتك، اكبري يا دميتي الشقراء، كش ملك..."**

كش ملك

(نـهاية اللعبة أم بداية البداية؟....)

لم يقبل "اتش آي" الخسارة أبدا، لكنه أوهم نورسين والمحققان بنهايته، فسيطر على عقل دولسي لتصبح سلاحه، لا أحد كان مدركا لما استطاع أن يفعله "اتش آي" في عقل دولسي خلال مدة خطفها، ولا كيف قلب الورقة الرابحة في اللحظة الأخيرة لصالحه، وبقي هذا السر شفرة لم يعرف حلها، فليس كل شيء في الحياة سنعرفه، وفي النهاية هناك أشياء نعرفها، وأخرى سنعرفها بعد زمن في وقت ما ومكان ما بقدر محتوم وزمن معلوم، وأخرى لا ولن نعرفها أبدا، والحقيقة التي بدت جلية لنا أن "اتش آي" لم يربح اللعبة، ولو بدا لنا عكس ذلك، وكان ذكاءه يفوق الجميع، حتى لو قال "كش ملك"، فهو لم يربح بقدر خسارته، "اتش آي" لا أحد سيعوضه عن حجم خسارته، مهما أقنع نفسه بعكس ذلك، لا أحد سيعيد له ابنته وصفاء روحه، وهو حتما لن يفلت من عذاب ضميره، لن يسلم من ثمن عليه أن يدفعه يوما، ذلك أن الانتقام أفقده حقه وجرده من إنسانيته، وهذا بحد ذاته أكبر عقاب له، ستظل روح مايتي البريئة التي لوث يديه بدمها تلاحقه أينما حل حتى في أسوأ كوابيسه، وسيظل يعاني كلما تذكر جريمته، ونورسين لم تنتصر في لعبتها معه، ولكنها انتصرت في الحياة، حين تجاوزت جميع الحدود لأجل عائلتها، ومضت وهي تحمل في قلبها ذكرى أختها، التي لن تنساها، وسيستمر الفقدان بجلد الطرفين معا، "اتش آي" و "نورسين" ولكن لكل طرف نصيبه ومساره.

وفي النهاية لا أحد منهما قد فاز، فلكل شخص حجم أكبر من الخسارة، لكن الحياة هي من لعبت الشطرنج مع الجميع، هي من قالت للكل كش ملك، وهي من تلعب معي ومعك ومعنا جميعا الشطرنج، ولكل منا قاعدة ونـــقلة

عليه أن يتفنن في إتقانها، كي يستمر في شطرنج الحياة، كي ينتصر في قصة حياته قائلا كش ملك.

"أحيانا قد تكون النهاية هي بداية البداية ...."

نلتقي في الجزء الثاني من الرواية مع سرد آخر (يتبع...)